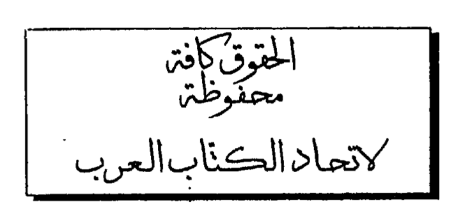


عبد الفتاح رواس قلعه جي

نصوص من المسرح التجريبي الحديث

نصوص مسرحية

نصوص
من المسرح التجريبى الحديث



البريد الالكتروني: E-mail :unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu-dam.org

□□

عبد الفتاح رواس قلعه جي

نصوص
من المسرح التجريبي الحديث

- طفل زائد عن الحاجة
- باب الفرج
- اللحاد

من منشورات اتحاد الكتّاب العرب

دمشق - 2001

مقدمة

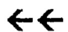
لا بـد للـتجريب فـي المسرح من أن ينطلق من إرادة الـبحث المسـتمر عـن مغامرة جديدة تخترق ثوابت الراهن الموضوعي، وثوابت الأشكال الفنية، تبدأ هذه المغامرة بالكلمة المكـتوبة وتمـتد عـبر لغـة الجسـد وسينوغرافيا العرض المسـرحي، وبهـذا فإن التجريب ليس عملاً فانتازياً يعمد فيه المؤلـف والمخـرج إلى الخـروج عـن المألوف أو اختراق المجهـول فحسب، وإنما هو في جوهره تعبير عن لا معقولية الوضـع الإنساني والقلق الأزلي والانتظار، وعن هموم كلية مسـتقرة فـي أعماق الإنسان، وهو بالإضافة إلى ذلك وعي جديـد للجمال وبحث دائب فيه، وإن أكثر الأشياء معقولية تلك التي تبدو لا معقولة في ظاهرها لكنها تظهر ما نحاول إخفاؤه، مستكشفة أغوار الواقع المكنون.

هـذه النصـوص قـد تصدم القارئ والمتفرج بغرائبيتها وإرهاصـاتها وموضـوعاتها وشـكلها، والتجريب هو فعل الصـدم، أما الإدهاش فيتوفر في المسرح التقليدي مثلما يتوفر فـي المسرح التجريبي، وإن التجربة التي عشتها في إنجازها تدفعني إلى التأكيد بأن التجربة لا تكرر نفسها، وأنه في الوقت

الــذي تــنظم فيه هذا المسرح قواعد وشروط وأنظمة فإنه لا يعود تجريبياً، لكن أمراً أساسياً أؤمن به هو أن الكلمة –النص هــي دائمــاً المنطلق بالرغم من اتجاهات حديثة في التجريب تميــل إلى إلغـــاء دور الكـــلمة واستبدالها بلغة الجسد وحركة المجموعـــات وتشـــكيلاتها، وسنجد أن من هذه النصوص ما ينـــتمي إلى مرحـــلة مـــا بعد التجريب من غير أن يلغي دور الكلمة –النص كمنطلق أساسي في الفعل المسرحي.

عـــلى هذه الخشبة المحدودة الأبعاد يقف المسرحي ليخلق مـــن الواقـــع الراهن والممكن عوالم غنية زاخرة في مغامرة تخـــترق المجهول، باحثاً باستمرار عن كوامن الحياة والنفس والفكـــر، وعمـــا هو جديد في الفن المسرحي، معتمداً منطق الحقيقة في أشد تجلياتها صراحة وجرأة، وكثيراً ما يلجئه ذلك إلى مجانـــبة المـــنطق الواعـــي المؤطر بالتيمات الاجتماعية والفكرية والمكلل بالأقنعة.

المســـرحي يعمـــل دائمـــاً على أقطار سلسلة من الدوائر المفتوحة، رافضاً أن يغلق على نفسه دوائر الإبداع والتجريب ليســـتطيع أن يقـــدم الواقع في قيعانه السفلي وأن يقرأ عصراً تعيشـــه البشـــرية اليـــوم مثل حلم ثقيل، فالتجريب في البداية والنهاية هو فعل اختراق واكتشاف وسقوط أقنعة، وإنه لمسرح مضـــاد مصادم مدهش، جديد متجدد دائماً، غرائبي حلمي في شـــكله، واقعي في جوهره، ينفذ بقوة وحدّة إلى أعماق الحياة والفكر والنفس الإنسانية.



طفل زائد عن الحاجة

مسرحية

الشخصيات

الزوج
الزوجة
روح الأب (مانيكان-تمثال شمعي)
روح الأم (مانيكان- تمثال شمعي)
الزبال

←←

(كهـف جدرانـه رطبة قاتمة، أشعة الشمس لا تنفذ إليه، أثاثـه يوحي بأن ساكنيه يعيشون حياة شبه بدائية وبائسة على الـرغم من ثيابهم الحديثة ووجود بعض الأدوات المعاصرة. عـلى مصطبة حجرية فراش تتمدد فيه الزوجة. في ركن من الكهـف بقايا أشياء وكتب وجرائد وأكياس قمامة ومشيمة ولد. على الحائط رسوم بدائية منقوشة في الحجر، وهناك خابية ماء وعليها طاسة من فخار. في عمق المسرح سلم ينتهي في أعلى الجدار إلى فوهة سرداب. في الجانب المقابل للمصطبة كرسي هزاز وبجانبه طاولة صغيرة عليها تلفون، ومن السقف تتدلى أرجوحة ينام فيها طفل.

تمـثال شـمعي (مانيكان) لأب على عربة مُقعد، وتمثال شمعي للأم، وهما متقابلان كأنهما يتحاوران.

بقعـة ضـوء على التمثالين الشمعيين لتكثيف الإحساس بـالموت والـزمن الماضي وحضور الروح، ثم ترتفع أنوار المسـرح قليلاً فنرى الزوج يتحرك في قلق، فجأة يرن الهاتف رنّات غير منتظمة فيسرع الزوج ويرفع سماعة الهاتف).

الزوج : ألــو.. ألــو *(يــرفع رأســه نحو السقف مبعداً السـماعة عــن أذنــه)* ألــو *(يضع السماعة على الهـاتف)* انقطع الخط مرة أخرى. *(يتحرك في قلق)* حاولي.. يجب أن تفعلي شيئاً.

الزوجة : غير ممكن.

الزوج : لماذا لا تجربين..؟

الزوجة : القضية فيزيولوجية.

الزوج : وما العمل..؟

الزوجة : لا أدري.

الزوج : يقولون الطفل يميل للعودة إلى رحم الأم.

الزوجة : ولكن من الناحية العضوية مستحيل.

الزوج : مــا العمــل *(يذرع الغرفة)* هيه.. هل نزلت المشيمة؟

الزوجة : نعم.

الزوج : لا تقطعي الحبل السري.

الزوجة : لماذا؟

الزوج : الأمــر بســيط للغاية.. اسمعي، كيف يتغذى الطفل وهو في بطن أمه؟

الزوجة : بوساطة الحبل السري.

الزوج : حســن، لن نمس شيئاً، لا الحبل السري ولا المشيمة، ويتابع الوليد غذاءه كما كان يفعل في رحم الأم.

الزوجة : هل جننت؟

الزوج : لماذا..؟ إنها فكرة صائبة.

الزوجة : الطفل ينزل أولاً ثم المشيمة. هل تذكر عندما ولد أطلق صرخة مدوية، ثم قطع حبله السري بأسنانه وقفز إلى الأرجوحة، إنه هنا والمشيمة هناك.. لقد انتهى كل شيء.

الزوج : كــل ما أذكره أنه عندما ولد رن الهاتف.. ثم انقطع الخط.

(صمت، يجلس على الكرسي ويهتز بقلق)

الزوج : هل المولود ذكر؟

الزوجة : لا أدري.

الزوج : أهو أنثى.

الزوجة : لا أعرف.

الزوج : ألست أمه؟

الزوجة : لا يوجد امرأة غيري هنا.. إذن أنا أمه.

الزوج : وأنــا أبــوه، لا رجل غيري هنا، أعتقد أنه طفلنا، هل نفرح.

الزوجة : بإمكانك إشعال بعض الشموع، سيفرح جدّاه به *(تشير إلى المانيكان)*

(تخبو أنوار المسرح قليلاً، يتجه الزوج لإشعال الشموع، ومع ارتفاع النور نجد مانيكان الأب والأم قد ابتعدا وأخذا زاويتين كأنهما يراقبان ما يحدث).

الزوج : هل يأكل الوليد كثيراً؟

الزوجة : طبعاً يحتاج إلى راتب غذائي كامل للنمو. يأكل وينام ثم يستيقظ ليأكل. *(الزوج يهز الأرجوحة)* لماذا تفعل ذلك؟

الزوج : أخشى أن يبكي، لا أستطيع أن أحتمل صوته. *(يهزها بشدة، تقفز الزوجة من الفراش وتعترضه)*.

الزوجة : هيه.. ستقلب الولد *(يدفع الأرجوحة بشدة بحيث تكاد تلامس السقف)* يكفي *(تقفز محاولة الإمساك بها)* يكفي.. قلت لك يكفي *(الطفل يبكي تندفع نحو مانيكان الأب وتسوقه أمامها باتجاه الزوج)* ألا تمنع ابنك من ذلك إنه حفيدك. *(الزوج يوقف الأرجوحة فجأة)*

الزوج : تخافين عليه..؟

الزوجة : لا.. ولكن رأسي بدأ يدور *(الطفل يسكت)*.

الزوج : الأطفال يبكون أما نحن فلا نبكي.

الزوجة : نحن عقلاء.. نحن نحزن فقط.

الزوج : نحزن ولا نبكي.

الزوجة : *(تعيد مانيكان الأب إلى مكانه،يتسعل)* أكاد أختنق أطفئ هذه الشموع.

الزوج : *(يطفئ الشموع)* اللعنة عليهم، لقد حشرونا في هذا الكهف.

(صوت أقدام ثقيلة من أعلى السقف)

الزوجة : اخفت صوتك.. ألا تسمع وقع أقدامه؟

الزوج : من؟

الزوجة : سبدلاً، سيتدلى فجأة من هناك *(تشير إلى الفوهة الأعلى)*

الزوج : *(يضحك، يهز الأرجوحة ويغني)*

سبدلا شق الحيط وتدلى

ولولا الخوف وسبدلاً

صارت العيشة أحلى

(فجأة يثبت الأرجوحة، يقيس المسافة بينها وبين الأرض)

الزوجة : لماذا تفعل ذلك؟

الزوج : متر ونصف لو سقط هل يموت؟

الزوجة : يصاب بارتجاج في المخ. يصبح أبله. البلهاء يأكلون كثيراً.

الزوج: هذه مشكلة.

(الزوج يهز الأرجوحة بلطف ويغني للوليد بصوت أجش)

الزوج : أوُ.. نام..

نـــام يــــا ابــــني نــــام

لادبحـــــلك طيـــــر الحمــــــام

ويـــا حمامـــات لا تخافوا

عــم بهــدي لأبـــني حتى ينام

الزوجة : صوتك جميل.

(الطفــل يــبكي، الزوج يهزه بشدة، يصل إلى حد الجنون)

الزوج : انظـــري. رقـــاص ساعة.. ساعة بلا ميناء *(يـــأخذ بيـــده اليمنى يد زوجته يدوران حول نقطة واحـــدة وهما متماسكا اليدين بعيداً عن الأرجوحة، دورانهما يتسارع)* نحن عقارب.. نحن عقارب. ساعة الموت بلا وجه.

الزوجة : دعني رأسي يدور.

الزوج : دوري.. دوري.. الساعة الآن الواحدة.

الزوجة : الواحدة هجرة.. وغربة.

الزوج : الساعة الآن الثانية.

الزوجة : الثانية جوع وتشرد.

الزوج : إنها الثالثة.

الزوجة : الثالثة فجر يولد ميتاً.

الزوج : الساعة الرابعة.

الزوجة : الرابعة شمس يشخب وجهها دماً، شمس تموت.

(يدوران بشدة أكثر فأكثر والأرجوحة تنوس بقوة وهما يتابعان العد، تبطؤ حركة الدوران).

الزوج : مر نهار.

الزوجة : مر ليل.

الزوج : الليل كهف معتم وديدان.

الزوجة : والنهار! من يحدث سكان الكهوف عن النهار؟

الزوج : النهار ظلمة أبدية.

الزوجة : هذه كلمات حزينة جداً، أشعل شمعة حزنك في المجهول.

الزوج : نحن الزمن المجهول.

الزوجان : *(يدفعان الأرجوحة)* ارقص يا رقاص الساعة للزمن المجهول.. ارقص.. ارقص.. نحن عقارب *(يعودان للدوران وهما متماسكان بالأيدي)*

الزوجة : نحن الساعة.

الزوجان : نحن الأرقام البلهاء *(الطفل يبكي بشدة، يتسارع دوران الزوجين، يحسان بالدوار، تنفلت أيديهما ويسقطان كل في اتجاه)* كذبة كبيرة نحن.

الزوج : كذبة كبيرة نحن. *(يصحو الزوج، ينظر إلى الأرجوحة وقد خف نوسانها وسكت الطفل)* لم يسقط، ما يزال معلقاً بين السماء والأرض،

الزوجة : علينا أن نتألم من جديد.

(الزوجة تنهض وتقترب من الوليد، تنظر إليه، تحاول أن تعطيه ثديها)

الزوجة : ما يزال يرفض الثدي.

الزوج : ولكن الطفل يتناول الثدي غريزياً.

الزوجة : كلما قربته من فمه دفع رأسه إلى الخلف.

الزوج : ولماذا؟

الزوجة : ثديي ينزف دماً وقيحاً.

الزوج : حتى غدد الثدي ما عادت تفرز الحليب للأطفال.

الزوجة : شم رائحته.. يشبه رائحة البيض الفاسد.

الزوج : *(يشمه ويتقيأ)* أع.. شيء مقرف *(يستمر في التقيؤ، يتوقف فجأة)* ماذا نفعل..؟

الزوجة : نشتري له علبة حليب.

الزوج : كم ثمنها؟

الزوجة : لا أدري.. تعال نقرأ نشرة الأسعار.

الزوج : أنا نشرة الأسعار.

(يتكوم على الأرض ليمثل بجسده ارتفاع الأسعار، يضع قناعاً)

الزوجة : *(وهي تراقبه وتتابع انتفاخ جسمه)* الأسعار معقولة *(يتمطى يرتفع قليلاً)* أوه إنها ترتفع *(يرتفع أكثر)* إنها ترتفع أكثر *(يرتفع بجسمه أكثر ويبسط يديه)* الأسعار أصيبت بالجنون *(يدور حولها، ثم يصعد بسرعة على السلم وينفخ جسمه أكثر)* توقف عن هذا النمو السرطاني *(تركع أمامه ضارعة)* انزل بالله عليك، ستطير، أنا لم أطلب غير علبة حليب لولدي *(يقلص أصابع كفيه.. ويتحفز للهجوم عليها)* أنت غول، غول حقيقي *(يهبط بسرعة وينقض عليها، يمسكها من عنقها ويضغط وهي تقاوم، بقعة ضوء على فوهة السرداب حيث يبرز وجه كائن خرافي بعين واحدة)* كف عن هذا.. ستقتلني *(تبعده عن نفسها بحركة مفاجئة فيسقط، ينزع القناع، يسود صمت، ينهض إلى الخابية، يغرف ماء بالطاسة، يسقي الزوجة، تضع كفيها على كفه وتشرب).*

الزوج : تعلمين أني أحبك.

(تضع الطاسة جانباً وتمسك يده بحنان)

الزوجة : دعك من هذا هل تؤلمك يداك..؟

الزوج : *(يتحسس عنقها بحنان)* من فعل بك ذلك؟

الزوجة : سبدلاً.. شق الحائط فجأة وتدلى *(تشير إلى الفتحة في الأعلى)* كاد يختفي.. هل تذكر؟

الزوج : *(يجلس على الكرسي ويهتز. الزوجة من خلفه. يتذكر)* كان الجدري الأسود يحصد الأطفال والحرب العالمية تحصد الناس، ورجال الشرطة يجمعون المجدورين من البيوت.. فلا يعود منهم أحد، في ذلك الموسم ولدت أختي حفيظة، كانت أمي أُذنٌ على الباب خوفاً من الشرطة، وأُذنٌ على البنت التي تبكي باستمرار، وعيناها جاحظتان نحو وجهي المجدور.. وماتت حفيظة، لو عاشت لكانت الآن مثلك تماماً. مسكينة ماتت ودفنت وقت كسوف الشمس.

الزوجة : لو عشت لكنت مثلها تماماً، مسكينة أنا، لم أدفن بعد.

الزوج : *(ينهض من على الكرسي ويضع يديه خلف ظهره ويحنيه كأنه يحمل طفلاً)* عندما شفيت

لفتني في حرام عتيق، وحملني جارنا الطيب على ظهره إلى حمام السوق، وأمي تجري تارة أمامه وتارة خلفه خوفاً من الشرطة.

الزوجة : ولماذا لم يحملك أبوك؟

الزوج : أبي أقعده مرض مزمن، ونحن أطفال نزرع البيت جوعاً ونحيباً، ثلاث سنوات وأبي مريض، ولم يشف في النهاية إلا على رائق الكلس *(تتجه الزوجة إلى الأرجوحة وتحاول إرضاع الطفل)*.

الزوجة : الطفل يحتاج إلى الكلس للنمو، والكلس في الحليب والحليب في الثدي، والثدي ينز دماً وقيحاً ويضمر.

الزوج : لقد ضمر ثدي أمي تماماً بعد موت حفيظة.. أصبح صدرها كطاولة بينغ بونغ.

الزوجة : *(تتحسس ثدييها)* بعد أيام سيختفي الثدي تماماً.

الزوج : *(يقصد الطفل)* لا.. لن يختفي، لا بد من الدفن.. سنقيم له جنازة محترمة.

الزوجة : لمن.. للمشيمة؟

الزوج : لا.. المشيمة لا تحتاج إلى علبة حليب.

الزوجة : *(تحمي الأرجوحة بجسمها)* أن تنوي أمراً

شريراً "وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت"

الزوج : الخيـــر والشر أمران نسبيان في كهف مملق

(يحاول الوصول إلى الطفل)

الزوجة : لن أسمح لك بذلك.

الزوج : حملته كرهاً وولدته كرهاً.

الزوجة : اخرس.

الزوج : لا تصـــرخي *(يســـد فمهـــا)* سيستيقظ، بكاؤه يســـحقني *(تعـــض لـــه يده فيصرخ)* آي.. قطة متوحشة.

الزوجة : *(تـــندفع نحـــو صدر أمها)* حتى الفئران تربي أولادها: يا أمي

الزوج : لن يشعر بالألم. أقسم لك، الأمر لن يستغرق أكثر من دقائق، إذا عاش سيصبح خوفك عليه أشد *(يضمها بحنان)* أيتها الزوجة العزيزة، كان في الرحم مطمئناً أكثر، ولكنك قلت إن القضية فيزيولوجية ومن المستحيل أن يعود إليه.

(يصبحان ظهراً لظهر)

الزوجة : الزمن لا يعود إلى وراء والطفل لا يعود إلى الرحم.

(يجلسان وظهر كل منهما إلى الآخر)

الزوج : أنا أختصر له درب الألم الطويل، وأدفعه إلى رحم الأرض، هناك حيث الهدوء والسلام.

الزوجان : *(يـرفعان كفيهما ويرتلان ترتيلاً كنسياً)* وعلى الأرض السـلام *(صوت قرع نواقيس من بعيد)* وعلى الأرض السلام.

(بقعتا ضوء على مانيكان الأب والأم)

الزوج : *(بسخرية)* كان السلام يجلس على الجدار الذي يفصـل بيـن دارنـا ودار خالي تاجر القماش والأغنام.

الزوجة : كـان السـلام جـثة ممـددة تحت الأسلاك الشـائكة، وقريتنا تنام كل ليلة ولا تعلم في أي جهـة من الأسلاك الشائكة تصير في الصباح ولا أيَّـة لغة تتكلم، في الحقيقة كنا نعيش على بعـض الدجاجات وبقايا من معونة الشتاء، أما أراضي القرية فقد زرعوها بالبطيخ المتفجر.

الزوج : كانت أصوات الملاعق على مائدة الخال ترن فـي مسامعنا، ورائحة الديك الهندي المسلوق تزكم أنوفنا، وأصوات الشركاء على المائدة في بيت خالي تفرقع في آذاننا حتى الصباح وأمي تفـتت الخـبز فـي الماء وتدعونا إلى الطعام

وتقول الله يبعث لكم أيام كويسة يا أولادي.. ثم تجهش في البكاء.

الزوجة : كـانت أمـي تحمل سلة البيض في الصباح وتبتعد عن القرية كنا نراقبها وهي تبتعد، نبكي قـليلاً، ثم نلعب بالتراب، آه ليتني حملت معي قبضة من ذلك التراب، وفي المساء كانت أمي تعود بسلة فارغة وقميص ممزق.

الزوج : *(يـرتلان)* وعـلى الأرض السـلام. *(صوت خطوات ثقيلة من الأعلى)*

الزوجة : *(تزحف نحو الزوج وتلتصق به)* أنا خائفة، هذا السلام مخيف.

الزوج : الخوف ملح حياتنا.

الزوجة : ملح مرّ، كلما اقتربنا من النهاية ازداد خوفنا.

الزوج : ولكـن الموت ليس نهاية العالم، بعد الموت تسـتمر الحيـاة فـي كون آخر أكثر سعادة، وتشرق شمس جديدة على العالم.

الزوجة : من يخبرنا عن تلك الحياة.

الزوج : *(يسير خطوات، يلتفت نحوها)* لا أحد ولكن لا تحولي دونَ قيام الطفل بهذه الرحلة السعيدة.

الزوجة : *(بغضـب)* لا.. لا.. *(بحزن)* تذكر أنني أمّ لم

تمتع بأولادها، كلهم يولدون ثم يرحلون وهم في المهد.

الزوج : اهدئي.. أنت تتألمين لأنك لم تقرري بعد. اجلسي، انظري هناك، لا تفكري بشيء *(يتدلى من الفوهة هلال بلون الدم)* ركزي انتباهك جيداً.. العالم يموت، القمر الشاحب يتقيأ آخر أنفاسه، السماء ما عادت رجوماً للشياطين، كل الأبواب مغلقة، بعد قليل يغوص الهلال خلف تلال الجهة الخامسة، ويمحي الزمان والمكان، تنهدم المادة في ثقب أسود جائع يلتهم الكون، ويعم ظلام سرمدي، هناك يتنفس التعساء الراحة في الموت الأبدي.

(تصبح الزوجة مستلبة منومة مغناطيسياً، الزوج يقترب من الطفل) الأمر يحتاج إلى شيء من الشجاعة *(يلبس كفين أسودين، يسدل قناعاً على وجهه، يمد يديه ليخنق الطفل، يبتعد مرعوباً وينزع القناع)* لا.. لا أستطيع.. إنه ينظر إلي بعينين حزينتين، من يحتمل نظرة حزن تسيل من عيني طفل؟ *(يقترب من المشيمة)* ما زالت دافئة *(في إصرار)* لا بد أن يدفنا معاً *(يقترب من الزوجة)* هذا الطفل زائد عن الحاجة، أنه ليس طفلك، انزعي حبه من قلبك، أنت لا تحبينه،

أنـــت تفكـــرين فـــي التخلص منه، عندما تمتد الغابـــة فتشـــمل مساحة العالم تموت الضمائر ويصبح الموت وسيلة الحياة.

الزوجة : *(تنتفض قليلاً وتستيقظ)* لا.. ليس الأطفال، إنهم استمرار الحياة.

الزوج : إنهـــم اســـتمرار القلق والألم، الحياة دخان، فلنبحث عن الخلاص.

الزوجان : *(يــرتلان)* **تــاقت نفسي إلى الخلاص، حبال الأشـــرار الـــتفت عـــلي، زوراً يضطهدونني، كلامـــك انتظرت، صرت كزق من دخان، تاقت نفسي إلى الخلاص.**

(صـــمت، يوقـــف الأرجوحة عن النوسان، الطفل يبكـي، الزوج ينفجر في الضحك)

الزوجة : لمـــاذا تضحك *(يستمر في الضحك)* هل تظن أنهم يسمحون لك بهذا الخلاص؟

الزوج : *(يصمت فجأة)* هل كنت أضحك فعلاً؟

الزوجة : نعم، كان صوتك مثل قذائف متفجرة.

الزوج : كـــنت أظن أنني أبكي، كنت أبكي فعلاً لأنني أعـــلم أنهـــم لن يسمحوا لنا بالخلاص، إننا لا نستطيع أن نموت. دعيني أبك *(يضحك)*.

الزوجة : ألا تفرق بين الضحك والبكاء؟

الزوج : لقد انعدمت الفوارق، نحن نضحك ببلاغ، نبكي ببلاغٍ، نهتف، نخطب، نسير حسب الأوامر، نحن منضبطون تماماً.

الزوجة : هي. اسكت *(تلمس حبال الأرجوحة)* هذه الأسلاك تنقل كلامنا إليه.

الزوج : لن أسكت، لم أعد أخاف منه.

(يرن الهاتف فجأة، يندفع الزوج خائفاً، يرفع السماعة ثم يعيدها إشارة إلى انقطاع الخط).

الزوجة : *(ضاحكة)* دون كيشوت.

الزوج : اسكتي *(تستمر في الضحك)* قلت لك اسكتي.. أنت تحطمين أعصابي ببكائك *(يتناول كتاباً)*.

الزوجة : ولكنني أضحك *(صمت)* أم أن الضحك والبكاء مجرد كلمتين في لغة منسية؟

الزوج : *(يقرأ)* الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، عندما استطاع أن ينطق الكلمة الأولى ابتدأ الاجتماع *(يقلب صفحة)* نظرية العقد الاجتماعي *(يقلب صفحات)* المدينة الفاضلة *(يغلق الكتاب)* مجرد كلام، هل عاش أحدهم في مثل هذا القبر؟

الزوجة : في البدء كانت الكلمة، وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب.. أنت تستهين بالكلمة.

الزوج : كانت الكلمة مشعشعة بالنور الإلهي، وعندما خبا ذلك النور تحطبت الكلمة، صرنا نهتف بالكلمات وهي قشور من أحرف يابسة *(يضع الكتاب جانباً)*.

الزوجة : أحس بالبرد، دعنا نغنِ علّنا نشعر بالدفء.

الزوجان : *(يغنيان)*

في الرحم حل شتاء   ومات في الرحم طفلي

"الموت فيه حياتي   وفي حياتي قتلي"

متى يفيق السكارى   قد هاجم الذئب حقلي

الزوجة : *(تتحسس ثدييها)* إنهما يضمران بحركة متسارعة.

الزوج : يجب أن تتفاعلي.

الزوجة : ثدياي يضمران وأتفاعل؟

الزوج : عندما يختفيان تماماً سيختفي الطفل، بماذا تشعرين وثدياك يضمران؟

الزوجة : أشـــعر بأن مشاعر الأمومة والحب والحنان تختفي بسرعة.

الزوج : هذه ظاهرة صحية.

الزوجة : هذا شيء رهيب.

الزوج : لا.. ليــس رهيــباً، فالجميع في هذه المدينة سيفقدون هذه المشاعر.

(يتــناول القــناع ليضــعه على وجهه من غير أن يفعل.

الزوجة : ماذا تفعل..؟

الزوج : لا بد من التخلص منه.

الزوجة : من..؟

الزوج : الطفل.

الزوجة : لا.. المشيمة.

الزوج : قلت لك الطفل.

الزوجة : بل المشيمة.

الزوج : حسناً، الطفل أولاً ثم المشيمة.

الزوجة : المشيمة أولاً.

الزوج : اخفضـــي صوتك فليكن كلاهما معاً.. الزمن يمر.

الزوجة : الزمن لا يمر أبداً على هذه الكهوف.

الزوج : لا يستغرق الأمر غير دقائق، يجب أن ننجز المهمة تحت ستار الليل.

الزوجة : وهل تستطيع أن تميز الليل من النهار هنا.

الزوج : هذا أفضل، سأطمره تحت التراب.

الزوجة : لا تفعل، ستنبشها الكلاب البوليسية.

الزوج : لا تتحدثي عن الكلاب، آثار أنيابها ما زالت في جسمي.

الزوجة : ستقتفي أثرك، تنهشك، ثم يوجهون إليك تهمة القتل.

الزوج : أسافر خارج العالم.

الزوجة : سيأتي بك الحاكم أينما كنت ليوجه إليك تهمة القتل أنت تعلم أن عيونه منتشرة في كل مكان.

الزوج : *(بعد صمت)* هيه. فكرة.. وجدتها.

الزوجة : ماذا؟

الزوج : نخنقه ثم نأكله.

الزوجة : من؟

الزوج : الطفل؟

الزوجة : لا.. المشيمة.

الزوج : أقول لك الطفل.

الزوجة : وتــأكل كبدك.. *(بسخرية)* وإنما أولادنا بيننا، أكبادنا تمشي على الأرض.

الزوج : مــنذ مدة طويلة ونحن لا نفعل شيئاً غير أننا نأكل أولادنا ونجوع.

(الــزوجة تــبكي ثــم يــتحول بكاؤها إلى ضحك هستيري. الزوج يضحك، يتحول ضحكه إلى بكاء)

الزوجة : هل أنت مجنون؟

الزوج : هل أنت مجنونة؟

الزوجان : *(في ألم)* لقد جعلونا مجانين.

(يزحفان على أرض الغرفة ويجمعان أشياء)

الزوج : *(يجمــع ويراكم كتباً وصحفاً منتشرة هنا وهناك فــوق بعضها)* اقتصاد، سياسة، علم نفس، أدب، جرائد. هذه الكتب قرأتها كلها على ضوء لمبة كاز.. كان أبي يقول:
سيصبح ولدي أديباً كبيراً.

الزوجة : *(الزوجة تجمع بعض قطع الثياب أمامها)* كانت أمــي تعلمني كيف أخيط ديارة للولد.. وتقول: لازم تطالعيهــا بجهــازك. كانت تجلس على المصطبة وتخيط.

الزوج : ثم تفخّر الزمن.

الزوجة : *(ترمي ما جمعته في سلة المهملات)* وتفتت كل شيء.

(بقعة ضوء على مانيكان الأب)

الزوج : تفخـــرت عظــام والـــدي مـــن تعـــاطي الكورتيزون.. كانت آلام المفاصل لا يسكتها إلا هذا الدواء اللعين..

الزوجة : تفخر صدر أمي وهي تبصق كبدها من فمها، كـــنت أمسح آثار الدم من على شفتيها بمنديل أســـود *(تمســـح الـــزوجة فم مانيكان الأم. الزوج يسوق عربة مانيكان الأب أمامه).*

الزوج : وعندما كان يقطف لحفيدته عنقوداً من العنب مـــن دالية البيت تفتت رأس عظم الفخذ وهوى عـــلى الأرض.. *(يـــرفع الزوج يديه كأنه يقطف عنقوداً ثم يسقط على الأرض).*

الزوجة : وعـــندما كـــانت تتحامل على نفسها وتذهب لتغسل في البيوت أغراض السادة القذرة وبقايا لياليهم الحمراء في سراويلهم *(تجمع الزوجة من الأرض ثيابـــاً وتجـــلس في مواجهة مانيكان الأم وتمثل مشهد الغسيل وهي تكتم سعالها)* كانت تكتم سعالها وتبلع بصاقها الدموي كي لا يطردوها..

الزوج : كان أبي يشتغل عامل بناء في البلدية، ولما صرفوه من الخدمة أعطوه تعويضاً تافهاً حقق به أمنية أمي فذهبا إلى الحج.. وعندما عادا لم يبق لهما إلا راتبي الضئيل.. ونفساً تؤثر الجوع على الطلب..

الزوجة : كان أبي قد توفي منذ زمن بعيد.. أنا لا أتذكر وجهه.. ولكني أذكر قدميه.. أي نعم قدميه.. كان في المساء يجلس على فراشه ثم يمد قدميه *(تسحب قدمي مانيكان من تحت الفراش)* ويضع قدمي الصغيرتين بين قدميه ويلمس بإصبعه الأقدام الأربعة بسرعة وهو يغني لي

طيمشة ميمشة بعتتني معلمتي

لأجيب حطب وصابون

ثم يدغدغ قدمي فأسحبها بسرعة.. فنضحك ويخفي قدميه تحت اللحاف *(تدس القدمين تحت اللحاف)*. ما زالت ضحكته ترن في أذني. *(صمت)* عندما ماتت أمي ظللت فترة طويلة وأنا أحلم بأمي وأبي كائناً واحداً يتقدم إلي وعندما يهم بالكلام يذوب في الظلام.

الزوج : احتفظ أبي بأدوات البناء التي كان يشتغل بها

(يعهلق أدوات البناء على الجدران) وعندما مات كهنت أسمع في عتمة الليل نحيباً يقطع نياط القلب، كانت أدواته وهي رفيقات عمره: خيط البناء والكريك، والدبورة، والمجرفة، والإزميل تبكيه إذا دجى الليل، وعندما ينقطع النحيب أعلم أن قد انبلج الفجر..

الزوجة : أنت حزين.

الزوج : *(بهدوء يرمي الكتب في السلة)* من يبيعني بهذه الأشياء علبة حليب؟

(يعود صوت الأقدام من أعلى، ورنين الهاتف يستمر ثم يتوقف، والزوج لا يتحرك).

الزوجة : أشعر بالبرد *(الزوج يحاول إشعال الكتب بعود ثقاب)* كيف يشتعل في هذه الرطوبة والهواء يتناقص منه الأكسجين باستمرار.

الزوج : *(يحاول التنفس)* الهواء أصبح فاسداً.

الزوجة : المشيمة هي السبب، بدأت تفسد *(تسد أنفها تقيا)*، هيه.. اخرج المشيمة، رائحتها نتنة أسرع.. أسرع قبل أن تقتلنا رائحة الجثة.

الزوج : *(يخرج من حجر في ركن الكهف)* لو يشم الميت رائحة الحي.. شيء مقرف.

الزوجة : افعل شيئاً بحق الله.. إنها تنتفخ.

الزوج : *(يفحصها)* بدأت تتفسخ.

الزوجة : سأهرب.

الزوج : ليس في الكهف غير هذه الكوة.. هل تهربين إليه؟

الزوجة : كيف أعيش مع جثة؟

الزوج : ليست المشيمة هي المشكلة.

(الزوج يقترب من الطفل ويتفحصه مرعوباً).

الزوج : *(يفحصه برعب)* جسمه ينمو بشكل عشوائي تلك هي المشكلة.

الزوجة : *(تتفحص المشيمة)* المشيمة تنزف دماً.

الزوج : وجهه مخيف.

الزوجة : ديدان تخرج منها وتتحول إلى صراصير *(تندفع خائفة وتندس في الفراش)*

الزوج : شيء واحد لم يتغير.

الزوجة : لونها إنه لون الدم.

الزوج : بل عيناه الحزينتان الضارعتان، لا أستطيع النظر إليهما *(يبتعد باتجاه الزوجة).*

الزوجة : لماذا تنظر إليّ هكذا؟

الزوج : إنه لا يشبهني، ولم يجمعنا فراش، فمن أين جاء؟

الزوجة : ألـــم تقـــل لي يوماً أحبك..؟ هذا يكفي ليكون هنالك ولد.

الزوج : أي حب هذا الذي ينجب وليداً مشوهاً كهذا.

الزوجة : لا أدري لعله الحزن.

الزوج : ألم يكن هذا الطفل هو الأمل؟

الزوجة : بلى.. هو الأمل.

الزوج : وكنا ننتظره بفارغ الصبر؟

الزوجة : أجل.. كنا ننتظره بفارغ الصبر وكنا نصلي من أجله.

الزوج : إذن فقد ضاع كل شيء.

الزوجة : أجل ضاع كل شيء.

الزوج : لا بد أن نتخلص منه.

الزوجة : أجل لا بد أن نتخلص منها.

الزوج : سيفسد كل شيء عندما يكبر.. سيغدو وحشاً يلتهم العالم.

الزوجة : ستفســـد كـــل شـــيء عـــندما تنتن، ستغزو الصراصير العالم.

(يــدور الــزوج حــول نفســه وهو ممسك بحبال الأرجوحة، يفلتها فجأة ويقفز إلى السلم ويصعد)

الزوجة : ماذا تفعل؟

الزوج : أشرف على العالم.

الزوجة : ماذا ترى؟

الزوج : أرى السماء غاضبة، والأرض بركاناً يلتهب.

الزوجة : اصعد.. اصعد.. هل ترى قيامة؟

الزوج : *(يصعد)* أرى غيوماً تمطر كبريتاً، وشواطئ يبتلعها بحر يتصاعد من أمواجه لهب ودخان، وأشم رائحة الزمن المنتن.

الزوجة : اصعد.. اصعد، ماذا ترى؟

الزوج : أرى آبـــاراً من زيت أسود تحترق، وأخرى تنضـــب، وأرى مدنـــاً ميتة، وأخرى يجرفها السيل.

وأرى قوافـــل مهاجــرة في صحراء مترامية يقتلها الظمأ.

الزوجة : اصعد، هل ترى في الأفق فجراً.

الزوج : أرى شمســاً تموت، وليلاً يمتد، وأرى تنيناً يزحف بالحديد والنار يبتلع العالم.

الزوجة : كفى، أحلامك تنشر الرعب، انزل.

الزوج : *(يــنظر إلى أسفل)* كيف أنزل ورأسي يدور، والأرض اختفت من تحتي.. لا شيء إلا الفراغ *(يحاول الصعود)*.

الزوجة : *(تصـــرخ محذرة)* انتبه.. ستسقط. *(يقع الزوج على الأرض)* كـــي تصعد من دون أن تسقط يجب ألاّ ترى شيئاً، كنت أعلم أنك ستقع.

(يقعنا ضوء على مانيكان الأب والأم).

الزوج : *(وهـــو مـــتكوم على الأرض في منطقة الظل)* عندما سقط أبي من فوق سقالة البناء وتهشمت عظامـــه راحت أمي تبيع أثاث البيت وتشتري شرائح الهبزة وتضعها فوق لحمه المرضوض، وكـــانت تســـهر الـــليل وهي تجمع قصاصات أوراق ســـجائر الشـــام، تلصقها لتصنع ورقة كامـــلة، ثـــم تجمعهـــا دفاتر تحملها إلى سوق الجمعة تبيعها لتشتري لنا بثمنها خبزاً. *(يخرج من جيبه دفتر سجائر)* ما زلت أحتفظ بواحد من هذه الدفاتر *(يفتح غلافه الداخلي ويقرأ بتنغيم)*

يـــا بني قومي جميعاً ورق الشـــام خذوه

إنـــــه حـــلو لذيـــذ جـــربوه تعـــرفوه

فهـــو للمرضى شفاء وحيـــاة فاشـــربوه

الزوجة : عندما سقطت قريتنا صاحت أمي هيا يا أولاد فلـنـرحل قـــبل أن تصـــل الذئاب، وحملنا ما

استطعنا حمله من أغراض البيت. لم أبك آنذاك، ولكنني بكيت حين رأيت أمي تبيع دموعها تحت أسوار القصر لتشتري لنا بثمنها خبزاً.

الزوج : كان أبي يوقظ الفجر بسعاله، وذات ليلة مد يده إلى عبه وقال: يا بنيّ احتفظ بهذا الوسام، إنه وسام الشجاعة، كان أبوك مقاتلاً قبل أن يصير عامل بناء مقعد *(يمد يده إلى عبه ويخرج وساماً).*

الزوجة : *(تمد يدها إلى ثوبها وتستخرج ضفيرة شعر طويلة)* هذه الضفيرة هي أول رسالة في الحب يقرؤها والدك يا ابنتي.. هكذا أخبرتني أمّي وقالت: عندما علق شعري بشجيرة الورد اندفع والدك وراح يخلص لي خصلات شعري من الأشواك خصلة خصلة حتى دميت يداه *(صمت)* وعندما قصت أمي ضفائر شعرها وذهبت لتبيعها في السوق كي تطعمنا اندفعت وراءها وخطفتها منها، قلت لها رسائل الحب لا تباع.

(تختفي بقعتا الضوء عن المانيكان)

الزوج : رأسي يدور، الأشياء تذوب، العالم ينصهر.. يبرد.. يتكون من جديد.

الزوجة : لا بد للعالم أن يتكون من جديد.

الزوج : هناك في الأفق شمس قديمة تشرق من جديد.

الزوجة : متى تشرق الشمس ويحس الأطفال بالدفء.

الزوج : عندما ننهي غربتنا عن ماضينا.

الزوجة : ومتى يحدث ذلك؟

الزوج : عندما ننهي غربتنا عن ذاتنا، آنذاك لا تلد الأرحام أطفالاً مشوهين كهذا الطفل.

الزوجة : الإنجاب قدرنا.

الزوج : كم طفلاً أنجبت قبل هذا؟

الزوجة : كثيراً، منذ أن بدأ فصل الغربة.

(الزوج يهجم عليها ويجذبها من شعرها ويثني رأسها إلى الخلف)

الزوج : تضحكين عليّ، مرة تقولي هذا الطفل جاء من كلمة، ومرة تقولين جاء من فصل الغربة، يا خائنة هذا الطفل ليس طفلي، إنه لا يشبهني أبداً.

الزوجة : طفل من إذن؟

الزوج : إنه طفله.. سبدلاً.

الزوجة : أرجوك، دع شعري، إنه فعلاً ليس طفلك.

الزوج : *(يتركها فتبتعد)* إذن أنت تعترفين.

الزوجة : *(في برود)* وليس طفلي أيضاً.

الزوج : أوه.. أكاد أجن.. من يكون إذن؟

الزوجة : طفل.. مجرد طفل فقط.

الزوج : وأنت؟

الزوجة : أنا لست زوجتك.

الزوج : لست زوجتي! من تكونين إذن؟

الزوجة : زوجة.. مجرد زوجة فقط.

الزوج : وأنا من أكون؟

الزوجة : زوج.. مجـــرد زوج، ولكنك لست بزوجي.. نحنُ مجرد أرقام.

الزوج : يا للشيطان.. أكاد أجـــن *(يدور حول نفسه وهو يجر زوجته نحو المشيمة)* وهذه؟

الزوجة : ليســت مشيمته.. إنها مشيمة.. مجرد مشيمة فقط.

(يتركها ويجيل النظر حوله)

الزوج : وهذا المكان، هذا الوطن؟

الزوجة : *(ســاخرة بمرارة)* أيّ مكان، وأي وطن؟ كل شيء ملكه.. نحن غرباء.

(صوت أقدام ثقيلة من فوق)

الزوج : *(يحس بالدوار، يضع يديه على وجهه)* اسكتي.. اسكتي بالله عليك، لم أعد أحتمل، فقدت كل شيء، حتى نفسي فقدتها.

(صمت، موسيقا ناعمة، يقتربان ويضمان بعضهما، يرخي كل منهما رأسه على كتف الآخر). لا.. ما دمت معي فأنا لم أفقد أي شيء.

الزوجة : وما دمت معي فأنا لم أفقد أي شيء.

الزوج : أنت المكان والزمان.

الزوجة : وأنت الوطن.

(صوت مرور أقدام من فوق، تبرز في الفوهة جمجمة بقرنين ينظران نحو الفوهة في الأعلى، ثم إلى بعضهما)

الزوجة : ألا تخشى أن يهبط علينا فجأة ونحن هكذا.

الزوج : نحن بحاجة إلى الحب والحنان لنكون أقوى منه. هذا المكان مليء بأرواح الذين أحببناهم، أبي *(بقعة ضوء على مانيكان الأب)* وأمك *(ضوء على مانيكان الأم)* والأجداد. *(تتدلى على جوانب وعمق المسرح وجوه شمعية- مانيكانات، لحظات صمت، الزوجان يبتعدان وتبقى أكفهما متماسكة، ثم تضع يدها على صدرها)*

الزوجة : لا بـد أن الفجر قد انبلج، فقد اختفى الثديان تماماً.

الزوج : كانت الشمس تشرق بين ثدييك.

الزوجة : وكان القمر يطلع فوق جبينك.

الزوج : العـالم اليـوم بلا شمس ولا قمر، والنجوم انطمست.

الزوجة : *(تتجه نحو الطفل)* مضى زمن الرضاع، لم يعد لدينا شيء نعطيه لهم. *(صمت)*

الزوج : لماذا لا نتبنّاه؟

الزوجة : وهل يتركنا نفعل ذلك؟

الزوج : نحاول.

(يمسكان الأرجوحة كل من جانب ومع الحوار التالي يدوران بها حتى يلتف الحبل)

الزوج : سنجد متعة كبيرة في متابعة نموه.

الزوجة : ونشعر بالراحة حين نراه يكبر كل يوم.

الزوج : ولكنهم سيجعلونه حقلاً للتجارب.

الزوجة : وربما يستخرجون منه مركبات جديدة في عالم الكيمياء والفيزياء والسياسة والاجتماع والرياضيات الحديثة.

الزوج : سيستنسخون منه أعداداً لا تحصى.

الزوجة : تدمر الحضارات وتقصف المدن.

الزوج : سيجعلون منه عالماً.

الزوجة : يفجر الذرة في أرحام النساء وعيون الأطفال.

الزوج : أو طبيباً عبقرياً لامعاً.

الزوجة : يسلخ جلود المرضى.

الزوج : أو قاضياً.

الزوجة : يبصق في الميزان.

الزوج : سيجعلون منه سلطاناً راعياً.

الزوجة : يسوق القطيع إلى مراعي الموت ليلاً ويحلبهم في الصباح.

الزوج : سيجعلون منه تاجراً ذكياً.

الزوجة : يلتهم الأسواق ويضرم الأسعار.

الزوج : أو منشداً.

الزوجة : يتقيأ أغانيه على موائدهم.

الزوج : أو شاعراً كقيس.

الزوجة : ينظم الشعر وليلاه تغتصب.

الزوج : سيعلمونه الرقص.

الزوجة : ليؤدي رقصة الموت والطاعة.

الزوج : سيكون طفلاً ذكياً.

الزوجة : كثعلب.

الزوج : عبقرياً.

الزوجة : كشيطان.

الزوج : أملاً.

الزوجة : كالموت.

الزوج : يحملنا على كتفيه عندما يكبر.

الزوجة : ويصعد.

الزوج : يصعد.

الزوجة : يصعد نحو فوهة البركان.

الزوج : البركان العظيم.

الزوجة : البركان المشتعل الرهيب.

الزوجان : ويقذفنا إلى الجحيم.

الزوج : في الجحيم.

(يطلق الزوجان صرخة قوية. يرتمي كل منهما في جانب، الأرجوحة تدور في الاتجاه المعاكس)

الزوج : يا للطفولة البائسة المشوهة.

الزوجة : كل مولود يولد على الفطرة لقد دنسوا الفطرة.

(ينتحبان، صوت رنين الهاتف، ثم صوت أقدام من

الأعلى، والزوجان يستمران في النحيب الهادئ المتلاشي، يرتفع صوت الأقدام ثم ينقطع وتسود فترة صمت..

يدخل إنسان آلي ملثم بملابس سوداء يبحث في الغرفة يتناول جردل القمامة يفتح غطاءه يثبت الأرجوحة يتناول الطفل ويضعه في الجردل يمر فوق جسدي الزوجين يضع المشيمة في الجردل مع بعض القمامة تغطيه، يرفع الزوجان رأسيهما في بطء ينظران إليه نظرات بلا معنى يقف أمام الباب).

الزبال : *(يخاطب الزوجين بلهجة الروبوت)* أنا الزبال الجديد في الشارع، لماذا تنظران إلي في استغراب آه.. ملابسي.. هذه ملابس جديدة وزعتها علينا البلدية للوقاية من الأمراض.. الكوليرا تعشعش في المدينة، وأنتما تعلمان أن مهنتنا قذرة.. عجيب كل أهل هذه المدينة خرس رغم أنهم يسمعون ويفهمون.. تكلما، من الصعب أن أعرف ما تريدان من غير أن تساعداني بكلمة أو إشارة.. *(يشيران إلى السطل)* آ.. فهمت.. السطل.. تستفهمان ماذا وضعت في السطل.. لا شيء، مجرد زبالة، سأرميها فوراً في المجاري العامة.. إلى اللقاء *(يمضي ثم*

يـتوقف ويلتفت نحوهما) أرجو أن تتركا الزبالة فـي المـرة القادمـة فـي المكـان نفسه. لن أزعجكما، سأدخل بلا ضجة وأخلصكما منها.. إلى اللقاء *(يخرج).*

(تـنهض الزوجة وتدور في قلق وألم، تضع يدها على بطنها ثم تتمدد في الفراش وتحس بالمخاض، تطـلق صرخات والزوج يزحف نحوها في خوف وقلق)

الزوج : هل تتألمين؟

الزوجة : إنه يتحرك بشدة.

الزوج : من؟

الزوجة : الطفل.. يحاول أن يخرج.

الزوج : متى حدث هذا؟

الزوجة : لا أدري.

الزوج : ألم تشعري به من قبل؟

الزوجة : كلاّ.. لا أحس به إلا عند الوضع.

الزوج : هل مر علينا تسعة أشهر؟

الزوجة : دعـك مـن حكاية الزمن.. هذا المكان ثقب أسود ينعدم فيه الزمان.

الزوج : حاولي أن تفعلي شيئاً.

الزوجة : لا أستطيع.

الزوج : اضغطي على نفسك.. امنعيه من الخروج.

الزوجة : مستحيل.. القضية فيزيولوجية. إذا لم يخرج انفجر، لسنا بحاجة إلى هيروشيما جديدة.

(الزوج يمسك حبال الأرجوحة ومع الحوار التالي يدور بها بشكل متسارع)

الزوج : ولادة، فظلمة، فموت... أية حياة هذه؟

الزوجة : أسرع بالله عليك وأحضر من يساعدني.

الزوج : لا أريد

الزوج : *(بخــوف)* لا لن تموتي..، أخشى الوحدة، لا أحتمل الشقاء وحدي، هذه الجدران قاتلة، يكفي أن أراك، أن أحـــس بوجودك إلى جانبي، أنتِ جحيمي الذي لا أستطيع أن أعيش بدونه.

الزوجة : وأنت غربتي وعزائي.. ساعدني بحق الله.

الزوج : أيــتها المـــرأة لا تفكري في الولادة. أنت لا تحملين في رحمك غير الوهم.

الزوجة : بل أحس بحركته، افعل شيئاً من أجله.

الزوج : لماذا تحرصين عليه؟ أ ليكون جحيماً آخر؟

الزوجة : فــليكن ما يكون، إنه طفل، يجب أن يعيش، الأطفال يجب أن يعيشوا.

الزوج : نحن أطفال الأمس، فهل نحيا اليوم.. كلا.. لا أريد هذا الطفل.

الزوجة : ساعدني أرجوك سيرى النور بعد قليل.

الزوج : لن يرى غير الظلام.. *(يفلت حبال الأرجوحة ويصرخ ويرتمي على الأرض)* لن يرى غير الظلام *(الأرجوحة تدور في الاتجاه المعاكس).*

(تطلق الزوجة صرخة قوية ثم يرتخي جسدها، الأرجوحة تتابع الدوران، تخبو الإضاءة ويعود مانيكان الأب والأم إلى وضعية التقابل الأولى)

الزوج : *(وحده ملتصق في الأرض)* هل ولد الطفل؟

الزوجة : ولد تحدّ آخر.. من يدري؟ ربما يكون هو المنتظر.

(يزحف الزوج نحو مانيكان الأب وتزحف الزوجة نحو مانيكان الأم)

الزوج : *(يداه على ركبتيه)* باركنا يا أبي.

الزوجة : *(يداها على ركبتيها)* باركينا يا أمي.

الزوج والزوجة : نحن قادمان إليكما.

(يلتفت الزوجان باتجاه الجمهور وتضع الزوجة رأسها على صدر الزوج فيحيطها بذراعيه بحنان.

الزوج : *(مخاطباً الجمهور)* وأنتم قادمون إلينا.

(يـــأخذان وضـــعية التثبيت فيتحولان إلى مانيكان، تظلم جوانب المسرح عدا بقعة ضوء على التشكيل الـــرباعي مـــن الأب والأم والزوجين، ينساب نغم دافئ يتواصل رنين الهاتف).

(ستارة شفافة تسدل ببطء)



باب الفـــرج

مسرحية

الشخصيات

الجلاد	الأخت
التابع	الرضيع
البائع	ساعي المحكمة
الزوجة	المحامي
زوج 1	القاضي/ الأمير
زوج 2	الشرطي
زوج 3	صوت

(في العتمة، قبل رفع الستار، تسمع دقات مبهمة مضطربة متباعدة لساعة كبيرة.

ترفع الستارة على ساحة عامة تقوم وسطها ساعة المدينة الكبيرة

ثمة لافتة تشير إلى اسم الساحة ((ساحة باب الفرج))

عربة لبائع متجول، والبائع عند قاعدة الساعة مربوط إليها في وضعية الصلب.

جلاد وتابعه يجلدان البائع في آلية وبرود وهو يتلقى الضرب في صمت من غير أن يظهر توجعاً.

الجلاد يضع قناع السيكلوب وله ذنب، ومثله تابعه القزم.

عن بعد، مجموعة من الناس يتفرجون في وضعية التثبيت، بحيث يبدون كأصنام بلا أية حركة وفي أوضاع مختلفة كأنهم رسوم في لوحة علاها الغبار ومحا ألوانها الزمن.

الأخت هي الإنسان الوحيد في المجموعة الذي كان يرقب ما يحدث ويتألم.)

الجلاد : مئة وخمس.

التابع : مئة وست.

الجلاد : مئة وسبع.

التابع : مئة وثمان.

(يستمران في الجلد مع العد)

الجلاد : هل عرفته؟

البائع : كلا.

الجلاد : جاءك أمس، قال كلمات ومضى.

البائع : لا أذكر.

التابع : اشترى من هذه البضاعة.

البائع : يشتري مني الكثيرون.. لا أذكر.

التابع : لعل هذا يذكرك *(يجلده)* مئة وثلاثون.

الجلاد : مئة وإحدى وثلاثون.

التابع : مئة واثنتان وثلاثون.

الجلاد : مئة وأربع وثلاثون.

البائع : *(في برود)* لا.. أخطأت.. مئة وثلاث وثلاثون.

(يستمران في الجلد مدة، يتوقفان، يخفي كل منهما السوط تحت معطفه، يحررانه من الحبل المربوط

بـــه فيــتهاوى على الأرض متكوماً يضعان الحبل عــلى الساعة بحيث يتدلى متأرجحاً ومنتهياً بعقدة للشنق)

الجلاد : سنعود غداً.

التابع : في مثل هذا الوقت بالضبط.. سنعود غداً.

الجلاد : ونعود بعد غد.

التابع : أجل بعد غد.

الجلاد : في الموعد نفسه.

التابع : أسمعت؟ في الموعد نفسه.

الجلاد : وكل يوم.

التابع : كل يوم.

(الجـــلاد يضحك بصوت عال، يتلوه التابع فيقهقه، يتداخل صوتاهما بشكل ناشز ومقرف، موجات من الضحك تبدو كطلقات مدفع ينتهي الموقف بضحك هستيري فصمت تام.)

الجلاد : حتى تطلع الشمس من المغرب.

التابع : *(فـــي صوت أكثر انخفاضاً)* حتى تطلع الشمس من المغرب.

(الجـــلاد يخلع قناع السيكلوب ويطويه، يدس ذنبه في السروال يلبس قفازين أبيضين، يبدو الآن شاباً أنيقـــاً، يفعـــل الـــتابع مثله وبحركات أوتوماتيكية

يخرجان، *المجموعة تبدأ في الحركة ببطء.)*

زوج 1 : *(يحمل محفظة)* ها قد وصلنا باب الفرج *(يضحك بشكل هستيري ثم يصمت فجأة)* يا للهول.

زوج 2 : *(يضع نظارات سوداء)* كانت رحلة مرهقة رأسي يدور، ثمة وحش كان يضربني بذراع من حديد.

زوجة : *(تحمل رضيعاً)* وحش هائل بعين واحدة كاد يلتهم طفلي (تضمه إلى صدرها).

زوج 3 : *(تبدو عليه مظاهر الغنى)* أضلاعي مهشمة، كائن غريب يشبه قرداً كثيف الشعر كان يضربني بمحراث قديم.

الأخت : هل كنتم تحلمون حلماً مشتركاً؟

الزوجة : لا شك أننا كنا نحلم، نحلم بالسفر.

زوج 1 : هل تريدون أن أفسر لكم أحلامكم؟ لدي كتاب لتفسير الأحلام *(يحاول فتح المحفظة).*

زوج 3 : افتح يا يوسف.. إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف. *(يضحك)*

الزوجة : *(تضع طفلها فوق رأسها)* وأنا أراني أحمل فوق رأسي لحماً فتأكل الطير منه.

زوج 2 : وأنـــا.. أنا حلمت بأني أصبحت إنساناً آلياً، جســـمي محشـــو بالأشـــرطة والمحـــولات والمســـننات، وثمـــة بطاريـــة فارغة، وأنا لا أستطيع أن أبكي ولا أضحك، كنت أرى الصدأ يغطـــي كل أجزائي الحديدية، وأعلم أن الصدأ يعـــني الحـــزن في لغة الحديد ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أضحك أو أبكي.

زوج 1 : *(يفشـــل فـــي فـــتح المحفظة)* آسف.. المحفظة مغلقة، والمفتاح ضائع.

زوج 3 : يجـــب أن تجـــد المفتاح، عندي أحلام كثيرة أريد أن أفسرها.

الزوجة : ابحث في جيوبك.

زوج 2 : لماذا لا تكسر القفل؟

الأخت : كـــفى يا سادة.. كفى، هذه مهزلة.. يجب أن تستيقظوا، أنتم ما تزالون نائمين.. تحلمون.

زوج 2 : كيف نكون نائمين ونحن نسير ونتكلم؟

زوج 3 : صـــحيح أنـــنا لا نفكر، لكننا نضحك ونبكي ونكســـب.. انظري. *(يهز كيس نقوده)* أنا أكسب كثيراً.. أنا غني.

الأزواج : أيـــتها الأخت الصغيرة نحن نضحك بصوت

عـال.. اسـمعي.. *(يضحكون)* ونبكي بصوت منخفض *(يبكون)* إذن نحن لسنا نائمين.

الزوجة : أنا أحمل طفلي إذن أنا يقظى.

الأخت : هذا وهم.. إنها خدعة كبيرة.. أنتم لم تغادروا أماكـنكم مـنذ زمن طويل.. أفيقوا وتحركوا.. السكون موت.

الرضيع : أيها السادة.

زوج 1 : *(للزوج 2)* هل أنت الذي تكلم؟

زوج 2 : كلا.

زوج 1 : *(للزوج 3)* إذن أنت الذي تكلمت.

زوج 3 : كلا.. كلا.. هذا ليس صوتي.

الرضيع : أيها السادة.

الأزواج : *(للزوجة)* إذن هو أنت.

الزوجة : كلا.. كلا.. هذا ليس صوت امرأة.

زوج 1 : من يتكلم إذن؟

الرضيع : أنا الذي أحدثكم.. أنا الطفل الذي في المهد.

زوج 2 : هذه آية.

زوج 3 : آية من الله.

زوج 1 : لا شك أنه المسيح.

زوج 2 : هل هو المسيح حقاً؟

زوج 1 : طــبعاً.. طــبعاً.. هل أفضي إليكم بسر.. إنه ابني.

زوج 3 : هل هو ابنك حقاً؟

زوج 1 : هــو ابني، وشهادة الميلاد هنا في المحفظة، وأنا أحتفظ فيها أيضاً بعقد الزواج.

زوج 3 : عظيم.. ولكنه لا يشبهك.. أرني الأوراق.

زوج 1 : *(يحاول فتحها فيفشل)* يجب أن تصدقني.. إنها مقفلة.

زوج 3 : أنــا أصــدقك.. أصــدقك تماماً.. ولكنه لا يشبهك.. إنه يشبهني أنا.. ضع في الاعتبار أنه ابني، وليس أكثر إثباتاً من التشابه بيني وبينه.

زوج 2 : لا أريد أن أكذبكما، ولكنكما مخطئان.. اسألا أمــه، لقد حملت به مني في ليلة مظلمة، وكنا فــي مجــاري المياه.. أنا وهي.. ولم يكن أحد سوانا.

زوج 3 : *(للأم)* لماذا لا تقولين شيئاً؟

الزوجة : *(في خجل)* أنا.. أنا عذراء.

زوج 1 : رائــع.. ألم أقل لكم إنه المسيح.. يسوع ولد من غير أب.

زوج 2 : مــن غير أب! وأنا ماذا كنت أفعل طيلة الليل؟

زوج 3 : هــي حــرة في أن تكون عذراء أو لا تكون.. هذه المرأة اشتريتها بدراهمي، وما بتــتجه هذه الآلة *(مشــيراً إلى الزوجة)* هُو لـــي.. إذن الطفــل هــو طفلي، فأنا أملك وسائل الإنتاج.

زوج 2 : هذه المرأة تزوجتها وهي صغيرة، سبية حصلت عليها في إحدى غاراتي.. والحق أنني أنتظر هذا الطفل منذ زمن بعيد.

زوج 1 : هــذه المرأة كانت صديقتي في الجامعة، ودرسنا معاً وتعاهدنا على الزواج، وعندما كان الأستاذ يحاضر كنا نرسم طفلنا القادم عــلى الــورق، وقد ألصقنا صورته على جميــع كتبنا الجامعية: المدنية، البحرية، الأحوال الشخصية، القانون الدولي.. لماذا تــريدون أن تســلبوني طفــلي وقد كنت أنتظره منذ زمن طويل؟

زوج 3 : وأنا ألَمْ أكن أنتظره أيضاً؟ كنت الوحيد فــي الســوق الــذي يسعى بجد لتحسين الإنتاج.

زوج 2 : أما أنا فقد حفيت قدماي من الانتظار.

الأخت : يجب أن تخجلوا من أنفسكم.. لا تعرفون غير الانتظار.. والكذب.. كل منكم يدَّعي أنــه طفلــه.. وأمــه تدَّعي أنها عذراء.. والطفل يخيل إليكم أنه يتكلم في المهد. لقد مــات يســوع، ولــم يتكلم أحد في المهد بعــده.. لا بد أن شيطاناً قد اختبأ فيه هو الذي يتكلم.

الرضيع : أيها السادة!

زوج 1 : صمتاً.. اسمعوا.. عاد يتكلم!

الرضيع : مــن أعمــاق الظلمة، من حقول تأكلها النيران، جئت إليكم ومعي خنجر.

زوج 1 : ألم أقل لكم.. إنه المسيح.

الزوجة : عــندما وضــعته.. أو في الحقيقة أنا لم أضــعه، لقد شقَّ بطني وخرج.. قفز إلى الأرض ومعــه خنجر لامع ثم.. ثم التهم مشيمته.. وتمدد في السرير.

زوج 2 : لا يفعل ذلك إلا المسيح.

الأخت : بل يهوذا.

زوج 3 : يهوذا لم يتكلم في المهد.. إنه المسيح.

الأخت : تيقظوا أيها الأخوة. إن كنتم تصرون على تسميته بالمسيح.. فهو المسيح الدجال.

زوج 1 : اسكتي يا امرأة.

زوج 2 : هيا يا رفاق، ودعونا نبشر بالقيامة الجديدة.

زوج 3 : دعونا نبشر بولادة المخلِّص.

(البائع ينهض بتثاقل، ينفض الغبار عن ثيابه، يدفع عربته أمامه)

البائع : هبط الليل، الظلمة تزحف، تعشش في شوارع المدينة العتيقة، تغلف قلوب الأطفال. من يشتري ليموناً، حامضاً طعمه، محرقاً كالنار.. من يشتري برتقالاً دموياً بلون شفاه العذارى. لست تاجراً كما تظنون.. أنا فلاح بسيط جاء من أرض جففها عطش صحراوي وشققها برد الليل. السماء لا تمطر، والأرض غاضت مياهها، وأشجاري أصبحت أصناماً من الحطب، وثمة مجرم خطير يعيث فساداً ويحرق كل ليلة شجرة *(يدور بالعربة دورة*

كامـلة حول الساعة، يتحسس ركبتيه متألماً)

فـي الـليل حين يهدأ الكون وينام الناس يسـتيقظ الجـوع في أمعاء الأطفال، يفح كأفعى، ينهشها كنقار الخشب، يقول ولدي الأصغر:

- بابا أنا جائع.

يعيد ولدي هذه العبارة في فترات متباعدة كدقات ساعة حتى يطلع الفجر.

- نـم يا ولدي.. سيأتي اليوم الذي يشبع فيه جميع الأطفال.

أمـا الطفلة الصغيرة فتطير إلى صدري، تقبلني من عنقي دامعة العينين تقول:

- بابـا.. العيد بعد غد، ماذا ستشتري لي على العيد؟ ثوباً أحمر، أم كرة بيضاء؟

- حبيبـتي، العيد مريض، لن يحضر هذا العام.

- لكـن جارنـا الساكن في القصر هناك جمـع أولاده في المساء وقال: هذه هدايا العيـد يجـب أن تسـتقبلوه بعد غد وأنتم تلبسون أجمل الثياب.

- حبيبـتي، جيرانـنا عيدهم سيصل في

سيارة كبيرة فاخرة، أما عيدنا فقد أصيب بحادث في الطريق.. إنه جريح.. ادعي الله أن يشفيه.

أما زوجتي الصغيرة المريضة الممددة في ركن رطب مظلم من القبو فإنها لا تتكلم تنظر إليَّ في صمت مؤلم، وتستقبلني بشفتين مرتجفتين.

لماذا يلاحقونني، أنا الفلاح البسيط المسكين. لقد غيرت مهنتي، ومع ذلك هم يلاحقونني، صرت أبيع البرتقال والليمون ومع ذلك هم يقولون: إنها بضاعة ممنوعة.

(يدخل ساعي المحكمة مندفعاً)

ساعي المحكمة : بضاعتك ممنوعة.. أنذرناك عدة مرات، أنت لا تفهم.. وقِّع هنا.

البائع : على ماذا أوقع؟

ساعي المحكمة : يجب أن تحضر المحاكمة فوراً.

البائع : أنا لم أفعل شيئاً.. ماذا تريدني أن أشتغل، أولادي جائعون، وامرأتي مريضة.

ساعي المحكمة : تستطيع أن تقول ذلك في المحكمة.. وقع هنا.

(البائع يوقع، الساعي يخرج، ينظر البائع في الإخطار).

البائع : هيه أيها الساعي.. في أية محكمة.. وأين؟ *(يدور بعربته حول الساعة دورة كاملة)* يا للزمن الميت *(يدور دورة أخرى ويتطلع في الساعة)* يا للزمن الميت *(يدور دورة ثالثة)* يا للزمن الميت!

(يدخل الزوج الأول في هيئة محام حاملاً محفظته)

المحامي : لماذا تدور هكذا يا عم، هل تبحث عن شيء؟

البائع : أبحث عن باب المحكمة..

المحامي : هل أستطيع مساعدتك؟

البائع : أأنت محام؟

المحامي : نعم.. ألم تسمع باسمي، شهرتي واسعة.. أنا المحامي الوحيد في البلد، وكل من في المدينة يأتيني يسند إليّ دعواه.

البائع : إذن أنت تدافع عن المدعي والمدعى عليه في آن واحد.

المحامي : كــلا.. ثمــة قضــية واحــدة تتكرر، ومُدَّع مجهول، ومتهمون أمثالك كثيرون، قل لي هل وقّعت على محضر الدعوى؟

البائع : هذا هو.

المحامي : *(ينظر في الورقة)* إذن جاء دورك.. حسن، هل تحب أن أساعدك؟

البائع : فــي الحقيقــة أنا لم أفعل شيئاً.. فهل يحتاج الأمر إلى محام..؟

المحامي : طــبعاً.. طبعاً.. إياك أن تتهاون بالأمر وإلا فإن عاقبتك ستكون سيئة.

البائع : وماذا علي أن أدفع مقابل ذلك؟

المحامي : مبلغاً بسيطاً.. التسعيرة موحدة.. لكن..

البائع : لكن ماذا؟

المحامي : القاضي أعرفه وسنحتاج إلى رشوته، إنه لا يقــبض مباشرة.. يجب أن تبقى يداه نظيفتين، لكننا سندفع لوسيطه.

البائع : أمن الضروري أن ندفع له.. قضيتي عادلة.

المحامي : يــا ســيدي أنت مدان مسبقاً، عندما ندفع له سنجعله يخفف الحكم إلى أقل ما يمكن.

البائع : انظـــر.. لم يذكروا لي ما المحكمة؟ ولا أين تقع؟

المحامي : لا تـــبحث عـــنها.. المحكمة هي التي تبحث عـــنك.. سينتصب أمامك القاضي فجأة، وينظر إليك بوجهه الصارم.. على كل لا تخف، عندما تـــنعقد المحكمــــة ســـأكون موجـــوداً، فأنا من أعضائها.

البائع : لـــم أفهم.. أنت محام ومن أعضاء المحكمة! كيف يكون ذلك؟

المحامي : اطمـــئن.. هـــذا مـــن حســـن حظـــك، وفي صـــالحك.. عـــلى كل ستفهم فيما بعد.. وداعاً وإلى اللقاء.

البائع : إلى اللقاء.

(يـــدور الـــبائع حـــول الساعة دافعاً العربة أمامه، ويدور المحامي في الاتجاه المعاكس).

البائع : ماذا تفعل؟

المحامي : أدرس القضية.

(يقومـــان بعـــدة دورات، وعـــندما يلـــتقيان يكون القاضـــي قـــد أطـــل مـــن كوة في أعلى الساعة، والقاضي هو الجلاد نفسه).

صوت : محكمة *(ثلاث دقات قوية).*

المحامي : سـيدي القاضـي، إن موكلي *(يسعل)* لا شك أنكم تعلمون ذلك جيداً *(يبحث في جيوبه)* فهو لا يحتـاج إلى برهان.. لذلك.. ومهما يكن *(يبحث في صدره وجيوبه، يخلع حذاءه ويبحث فيه، يخلع جوربيـه)* لا أدري أين سقط مني المفتاح *(يلبس حـذاءه وجوربيه)* يجب أن تصدقوني، فموكلي هذا.. نعم.. نعم.. إنه أفضل موكل.. لا شك أنه بـريء فقد دفع كل ما يترتب عليه *(يحاول فتح المحفظـة)* امـنحوني فرصـة كـي أفتح هذه المحفظـة، إضـبارة القضية، وجميع إثباتات البراءة فيها *(يحاول فتح المحفظة عبثاً)* لا أدري أين ضاع المفتاح مني *(يحاول كسر القفل)* سيدي القاضي *(ينهش المحفظة بأسنانه، يمضغ القفل)* لا تؤاخذنـي، لا أستطيع المرافعة قبل أن أفتحها *(يجاهد عبثاً)* موكلي هذا.. وأنتم.. والعالم كله.. فـي هذه المحفظة وهي مقفلة. *(يرمي المحفظة على الأرض ويضرب القفل بعقب حذائه).*

صوت : تـرفع الجلسـة لإصدار الحكم *(ثلاث دقات، القاضي يغلق الكوة ويتوارى داخل الساعة).*

البائع : لـم يسـتمع القاضي بعد إلى القضية.. كيف يحدث ذلك؟

المحامي : لو أتمكن من فتح المحفظة لأمكنني تبرئتك.

البائع : دعك من هذه المحفظة، ألا تستطيع أن ترتجل مرافعة؟ ألا تحفظ شيئاً من القانون؟

المحامي : القانون في المحفظة، والمحفظة مغلقة، ما الذي يمكنني أن أفعله؟

البائع : وهل سأفقد حريتي إذا لم تنفتح محفظتك؟

المحامي : دعنا نبحث عن المفتاح، ربما سقط مني هنا. *(يدوران حول الساعة في اتجاهين متعاكسين وهما يبحثان في الأرض)* هل رأيت شيئاً؟

البائع : كلا.

المحامي : أظن أننا لن نعثر عليه *(ينفض يديه)* بحثت عنه أمس، وقبل أمس.. في الحقيقة منذ سنوات، وأنا أبحث عنه كل يوم مع متهمين مثلك ولم أعثر عليه.

البائع : كيف ستعثر عليه والأرض موحلة جداً.

المحامي : موحلة على الرغم من أن الأمطار لم تسقط هذا العام.

البائع : الأرض مستنقعية، المياه الآسنة تنبع من الشقوق بين بلاط الشارع *(يدوران دورة أخرى وعندما يلتقيان يطل القاضي من الكوة)*

صوت : محكمة *(ثلاث دقات، يتسمران).*

القاضي : *(يصدر أصواتاً أشبه بالعواء)* عا.. عو.. عا.. عــو.. واع.. عا.. عي.. عو.. واع.. واع.. عــو.. عــي.. عــو.. عو *(يغلق القاضي الكوة ويختفي).*

البائع : هل انتهى كل شيء؟

المحامي : انــتهى كل شيء.. الأحكام هنا قاطعة وغير قابلة للطعن.

البائع : *(يدفع عربته)* هذه مهزلة.

المحامي : لقد فعلت كل ما بوسعي، كان الحكم عادلاً.

(المحامي يمسح الغبار عن محفظته ويخرج، البائع يدفع عربته أمامه).

البائع : البلدة بلدتي وأنا غريب فيها، إنهم يلاحقونني، لكن لن أهرب، كلما طلبوني للمحاكمة سأذهب *(يتحســس ركبــتيه)* أخشــى أن لا يمكنني داء المفاصــل يومــاً مــا من حضور المحاكمات فيحكمــون عــليّ غيابيــاً، إنهــم يريدون أن يتخلصــوا مــني بأيــة وسيلة، لكنني سأقلقهم بوجــودي وأعيــش، هــم يريدون لي الموت ولكنــني سأتحداهم وأعيش، سأدفع هذه العربة في صدورهم وأنتزع لقمة أطفالي.

(يدخل الزوج الثاني وهو يجر الأخت من شعرها)

زوج 2 : امشي قدامي، لن ترفضي لي أمراً.

الأخت : حرام عليك.. أنا أختك.

زوج 2 : لسانك صار طويلاً أكثر من اللازم، تتكلمين، تنتقدين، هذا صحيح وهذا خطأ، هذا أحبه وهذا لا أحبه.. ما شاء الله، صرت تخالفيننا باستمرار.

الأخت : أنا حرة.. أحب من أريد وأكره من أريد.

زوج 2 : *(يضربها)* أنت فاسدة، ستقبلين من نقبله، وترفضين من نرفضه.

الأخت : محال.. أنا أرفض من لا أقتنع به.. أنتم تبيعونني.. تبيعونني.. هل تسمع؟

البائع : *(يقترب)* لماذا تسوقها هكذا كالغنمة يا أخ؟

زوج 2 : هذه أختي، متمردة، وأنا عازم على ترويضها.

البائع : ما أظن أن هذه الفتاة الجميلة في حاجة إلى ترويض، إنها عذبة كماء النبع *(يشم رائحة شعرها)* شعرها له رائحة الأرض بعد المطر.. لا.: لا يمكن أن تكون هذه الفتاة مخطئة.

الأخت : كيف أرضى وهو يرغمني على أن أكون

جاريـــة في قصره *(لأخيها)* إذا كنتَ قد رضيت بالخضوع له فأنا لا أرضى.

زوج 2 : مجــنونة.. أريــد أن تكوني زوجة له.. إنها صفقة يا سيدي.

زوج 3 : *(يدخــل)* الأمير قادم، أسرعا، سيمر من هنا، *(يفــرك يديــه)*، لأول مــرة نعقد صفقة رابحة *(يجرها زوج 2، تقاوم، يعطيه زوج 3: حبلاً)* خذ هــذا العقــد هدية مني، أحضرته من مخزني مســاهمةً مني في تجهيز أختنا بمناسبة زفافها هيا أسرع.

الأخت : دعني.. يا لكم من أخوة أعداء.. مجرمين.

(يلصق زوج 3 لها فمها بلاصق).

زوج 3 : العــمى.. تــريد أن تفســد علينــا كل شيء *(صمت، والأخت تقاوم)* أوه ما أروع السلام.

زوج 2 : رتب لها شعرها.. أخشى أن لا تعجب سيدي الأمير.

البائع : في الحقيقة أنتما مجرمان.

(يبــتعد بعربــته مشــمئزاً، يدخل زوج 1: حاملاً محفظته).

زوج 1 : أرجو أن لا أكون قد وصلت متأخراً.

زوج 2 : هل أحضرت كل شيء؟

زوج 1 : معي كل الأوراق لعقد القران.

زوج 2 : *(ينظر بعيداً)* ها هو الأمير قادم.

زوج 3 : خذوا أماكنكم.. ابتسموا.. احنوا ظهوركم.

(يدخـل الأمير، وهو القاضي، طويل جداً، بساقين طولهمـا غير عادي، ويمكن أن يتم ذلك بأن يسير علـى سـاقين مـن خشب بحيث يبدو في ضعف ارتفاع الإنسان)

زوج 2 : سيدي الأمير، الماثل في الغياب والحضور، واهب الأمن والسلام بسيفك القاهر الصمصام، يسـرني يـا سيدي باسم القبيلة، وبالنيابة عن أخـويّ هذين اللذين يقفان أمامك بكل احترام، وأخوتـي الآخـرين الذيـن لم يحضروا هذا المقام.. أن أقدم لك أختنا جاريةً في مطبخك.

زوج 3 : زوجـناك أختنا يا سيدي.. اسألها إنها موافقة بـل ممتـنة.. سكوتها يعني قبولها نرجو لكما حياة سعيدة.

زوج 2 : أمسك رسنها جيداً يا سيدي، حاذر أن تهرب أو تضيع منك فهي بريئة وعذراء لم تخرج من البيت قط ولم تر الشارع في حياتها.

(يقـدم لـه طرف الحبل الذي ربطت به، الأمير

يمسك الحبل، يرمي للأخوة ثلاثة أكياس من المال، يجــرها، الأخـــت تقـــاوم، الأخوان الثاني والثالث يدفعانها).

زوج 1 : انـــتظر يـــا ســـيدي.. انتظر.. أريد أن أعقد القران *(يستمر الأمير في جر الفتاة، يحاول حامل المحفظة فتح المحفظة بلا جدوى، يعضها بأسنانه، يمضـــغ القفـــل، تـــتحول حـــركاته إلى حـــركات هستيرية، يخرج الأمير والأخت).*

زوج 1 : انتظر يا سيدي.. انتظر حتى أفتح المحفظة، لا يمكـــن أن تأخذها هكذا.. حرام.. هذا زنا يا سيدي.. نحن لم نعقد القران بعد، أنت تزني بها يا سيدي.

زوج 2 : *(يجـــره ويعيـــده إلى مكانـــه)* دعـــنا من عقد القران.. إنه مجرد شكليات يا أخي هل تريد أن تفضحنا أمام الأمير.. عيب.. يا رجل.. عيب.. ماذا سيقول عنا..؟ متأخرون.. أوباش..

زوج 3 : نعم.. نعم.. عقد القران غير مهم.. المهم أنه دفع المبلغ المطلوب بأمانة كأي سيد نبيل.. إنه ابن السوق ولا شك.

البائع : *(يقـــترب مـــنهم ناظـــراً باحتقار)* كم دفع لكم؟ *(يمـــدون أيديهـــم بالمال، يتسمرون في استخزاء،*

يتحسس الأكياس) بعتموها بثمن بخس، دراهم معدودة.. يا لكم من مجرمين.. كانت تبحث عن حريتها فكممتم فمها وقيدتموها بالأغلال، وسقتموها إلى سجن القصر، كانت تريد أن تحقق وجودها.. فسحقتم شخصيتها كانت تعتز بكم فتخليتم عنها.. ماذا تفعلون بهذه النقود؟ *(يدفع العربة في وجههم فيتراجعون)* ماذا تفعلون بهذه النقود؟ *(يحصرهم في زاوية المسرح)* لن تجدوا من يصرف لكم نقود العار هذه. *(يدفعهم بالعربة فيلقيهم خارج المسرح)* لن تجدوا من يصرف لكم نقود العار هذه. . *(يدور حول الساعة دورة كاملة، تدخل الزوجة).*

الزوجة : هل مر ولدي من هنا؟

البائع : من ولدك يا سيدتي؟

الزوجة : طفل رضيع تكلم في المهد.. تصور.. تكلم في المهد.. أليس ذلك رائعاً؟

البائع : إذن هو شيطان أو نبي.. وبما أن النبوة انقطعت، فهو شيطان من غير شك.

الزوجة : ماذا تقول...؟ إنه قديس... تصور أنني كنت أحمله على يدي، وأضمه إلى صدري وفجأة قفز إلى الأرض وبدأ يكبر ويكبر ويكبر.. حتى

غدا أطول مني، ثم عدا نحو الغابة وهو يقول: سأعود مع هبوط الليل لأغزو العالم، ويمتد سلطاني من الماء إلى الماء.

البائع : سيدتي.. أنا بائع متجول فقير.. لا أعرف شيئاً عن الملوك أو القديسين.. اعذريني..

الزوجة : ولكني لم أسمعك مرة تنادي على بضاعتك.

البائع : من يحتج إلى بضاعتي يأت إلي.. لا أكتمك سراً.. يقولون إن بضاعتي ممنوعة.

الزوجة : وماذا تبيع؟

البائع : حمضيات.. برتقال وليمون.

الزوجة : *(تتناول برتقالة)* ما هذه؟

البائع : برتقالة.

الزوجة : كلا.. كلا.. هذه قنبلة.

البائع : *(يتناول سكيناً ويحاول تقشيرها)* هذه برتقالة يا سيدتي.. انظري سأقشرها.

الزوجة : *(تبتعد)* احذر.. إياك أن تنتزع مسمارها.. ستنفجر.

البائع : *(يعيدها إلى العربة)* هل بضاعتي مخيفة إلى هذا الحد؟

الزوجة : مخيفة..! أنت تحمل النار في عربتك.. لو

رآك ولدي لما تركك حياً.

البائع : اطمئني يا سيدتي.. إنهم يلاحقونني ويحاكمونني.

الزوجة : هل حاكموك فعلاً؟

البائع : نعم.

الزوجة : وهل القاضي طويل، شعره أسود، جميل، عيناه دعجاوان، ينطق بصعوبة؟

البائع : لم أر طوله، لكنه كما وصفت.

الزوجة : إنه ولدي.. آه ما أقسى الفراق.. منذ سنوات لم أره.

البائع : إذن ولدك يعمل قاضياً.

الزوجة : ليس دائماً *(تقترب منه وتسر في أذنه)* مهنته الأساسية طبيب روحاني، يحمل سوطاً، يخرج به الشيطان من جسم الإنسان.

البائع : *(يصرخ)* يعني جلاد!

الزوجة : لماذا تصرخ..؟ إنه مُخلِّص، عمله نبيل، يطرد الأرواح الشريرة من الأجساد.

البائع : *(ساخراً)* نبيل جداً.. ومخلِّص.. كان يجب أن تقولي هذا من قبل.

الزوجة : لم أقل كل شيء بعد.

البائع : وماذا بعد..؟

الزوجة : أنا مكسوفة لأني أسرد لك حياتي الخاصة.

البائع : لا.. لا.. تَحَدَّثـي يا سيدتي.. يبدو أن حياتك الخاصة مهمة جداً بالنسبة لي.

الزوجة : في الحقيقة.. أنا لي ثلاثة أزواج.

البائع : ماذا.. ثلاثة أزواج في آن واحد.

الزوجة : نعم.. نعم.. أوه.. يجب أن لا أقول ذلك.. هذا عيب.

البائع : تـابعي يا سيدتي.. لا عيب في ذلك.. ثلاثة أزواج قليلون.. باستطاعتك أن تتزوجي أكثر.. أنت امرأة متينة.. حدثيني عن أزواجك.

الزوجة : الأول مـثقف، طويل، جميل، يضع نظارات على عينيه، أسميه حامل المحفظة، فهو يحملها دائماً، ومع ذلك لم أجده يفتحها على الإطلاق.. لا أعرف بالضبط ماذا يحمل فيها، يقول: فيها أوراق وبيانـات ومشـاريع وخطـب ووثائق سياسية ومعاهدات وملفات دعاوى.. فيها الدنيا كلها.

البائع : نعم.. نعم.. أكاد أعرفه.

الزوجة : هـذا الـرجل رزقت منه غلاماً هو القاضي

الذي عرفته.. لا شك أنه قاضٍ عظيم وأحكامه عادلة.. أليس كذلك؟

البائع : جداً.. القصة تشوقني.. هاتي الثاني.

الزوجة : الثاني.. آه يحيرني هذا الزوج.. إنه رجل غامض تارة أراه رجلاً أنيقاً يضع الغليون في فمه، وأخرى شحاذاً ثيابه ممزقة وثالثة يلبس لباس المماليك يأتيني وقد تقلد سيفه يضرب به أواني المطبخ في الليل فيسقطها ويحطمها قائلاً إنه يلحق الهزيمة بأعدائه.. ويجيئني رابعة وهو يلف وجهه بخمار فلا ترى غير عينيه.. وهكذا خامسة وسادسة.. إنه يا سيدي كالحرباء، يغير لونه باستمرار.

البائع : يا سلام.. وماذا يفعل.. أين يذهب؟

الزوجة : لا أعرف.. يقول لي باستمرار: عندي مهمة سرية.

البائع : وماذا رزقت من هذا الزوج؟

الزوجة : رزقت منه غلاماً مشوّهاً، كثيف الشعر، نصفه آدمي ونصفه وحش له عين واحدة، في يده سوط لا أدري ماذا يفعل به.

البائع : بل تدرين يا سيدتي، هل نسيت؟ ألا يعمل جلاداً؟

الزوجة : أظن ذلك.. *(تتلفت)* لكني لم أجد من المناسب أن أقــول ذلــك.. نســوة الحي يعيرنني، من المناسب أن أقول إنه طبيب روحاني.

البائع : هــذا أعــرفه جيداً.. والثالث.. حدثيني عن الثالث.

الزوجة : الــثالث *(انفجــار فــي العربة، يتلوه انفجاران آخران، الزوجة تقفز مبتعدة في خوف)* ما هذا؟

البائع : لا شـــيء.. لا شـــيء.. لا تخافي يا سيدتي *(انفجار ثالث)*

الزوجة : ثمة شيء في العربة.. ديناميت.

البائع : لا.. هـــذه بـــرتقالات بفعـــل حرارة الشمس تمددت فيها العصارة حتى انفجرت، هل تحبين أن تذوقي عصارتها.

الزوجة : *(في خوف)* لا.. لا.. أنا خائفة.

البائع : تخـــافين وأنت ولَدت مثل هؤلاء البنين..! إن تعامـــه الـــتي ولدت التنانين والأفاعي لم تكن مثلك.. بلعزبول نفسه ليس لـــه مثل أولادك.. تعالي يا سيدتي.. اقتربي وحدثيني عن زوجك الثالث.

الزوجة : *(تقـــترب)* زوجي الثالث تاجر، أمواله كثيرة، ملأ ساعدي بالذهب، في الحقيقة لا أعرف من

أيـــن يحصـــل عـــلى هذه الأموال كلها، لكني ســـمعت أنه يعقد صفقات غير مشروعة، وله صداقات مع أناس مهمين جداً.

البائع : واضح.. واضح.

الزوجة : جميـــع الـــناس يحترمونه.. كلمته لا تصير اثنتين عند الحكومة، حتى شرطة المرور عندما يمر بسيارته يوقفون السير حتى يعبر الطريق.. هـــل أقول لك شيئاً غريباً.. عندما يقترب من إشارة المرور الضوئية تنقلب فوراً من حمراء إلى خضـــراء.. لم يقف طيلة حياته عند شارة حمراء.. لا أعرف تفسيراً لذلك.

البائع : *(ســـاخراً)* ربمـــا كـــان ينشـــر حوله ساحة كهرطيســـية.. زوجك يا سيدتي طبق طائر لا يقف في وجهه شيء.

الزوجة : والله أنا أخاف عليه..

البائع : ولماذا تخافين عليه؟

الزوجة : أخشى أن يكون مخالفاً للقانون.. وكلما سألته: هل أنت متأكد من أنك لا تخالف القانون؟ كان يقـــول ســـاخراً من سذاجتي: يا امرأة.. كيف أخالفه وأنا القانون.

البائع : وماذا رزقت من هذا الزوج.

الزوجة : رزقت منه ولداً أسمر ضخماً اشتغل شرطياً سرياً، عيونه مكحلة واسعة، كل عين مثل الفنجان.

البائع : *(جانباً)* فليكفنا الله شر هذا الولد.

الزوجة : ماذا قلت يا سيدي؟

البائع : لا شيء.. لا شيء.. إذن لك ثلاثة أولاد.

الزوجة : كلا.. لي ولد واحد فقط.

البائع : ثلاثة بطون، وثلاثة أزواج، ثلاث شخصيات وولد واحد.. عجيب.

الزوجة : ولم هو عجيب..؟ في الحقيقة هو ولد واحد بثلاثة أوجه وستة أذرع، ثلاثة توائم سيامية في جسد واحد، ألا تصدق؟

البائع : بلى.. بلى أنا أصدق.. كل شيء يمكن أن يحدث في هذه الأيام.

(الزوجة تخرج.. البائع يدفع عربته ويدور حول الساعة).

البائع : الليل يبتلع العالم شيئاً فشيئاً، والرطوبة تنخر جسدي، والبرد يزحف في العظام.. أخشى أن لا أستطيع العودة إلى البيت، فأنا لم أبِع شيئاً ومفاصلي تجف. منذ زمن وأنا أحس بأن حركة

الحياة تموت في مفاصلي، أخشى أن أتحول إلى قطعة من الحطب.. كجارنا الحطبي الذي كان يعمل إسكافياً عند منعطف الشارع.. كان كومة من إنسان.. تحطب جسمه كله، ولم تبق له إلا يداه يصلح بهما أحذية أهل الحارة.

هل أعود الليلة إلى أطفالي، إنهم ما زالوا ينتظرون عودتي، الأم أوصتني أن أحضر لها خبزاً ودواء.. الطفلة قالت لي: بابا رأيت في المنام أني آكل تفاحة.. تفاحة كاملة يا بابا.. ولدي الصغير الآن ينتظرني أمام الباب يغالب النعاس المتجمع في عينيه، يحلم بأنه يمد أصابعه الصغيرة في جيوبي بحثاً عن شيء مفقود.. وسيظل مفقوداً إلى أمد طويل.

كل مساء يسيطر عليَّ شعور غامض بأني لن أعود إلى البيت، سألت زوجتي مرة فقالت كل مساء يسيطر علينا شعور غريب غامض بأنك قد لا تعود، وأننا سنصبح وحيدين *(يتطلع في الساعة)* لم يصلحوا الساعة بعد.. ذاب الزمن من عقارب الساعة وأرقامها وتحول إلى إحساس كثيف بالخطر، كل شيء قد توقف.. إلا الموت فإنه يزحف في ثياب العتمة، أتوقع

السقوط إثر كل خطوة *(يدور بعربته دورة كاملة حــول الساعة)* كلما أكملت دورة أحسست بأني أولــد مــن جديـــد، وأنهم تفضلوا عليّ بالحياة ومنحوني وقتاً إضافياً *(صوت حركة)* أحسب أنه جاء للتنفيذ *(يهرب بعربته في حركة دائرية حول الساعة، يدخل شرطي باحثاً عنه.. تستمر الملاحقة لحظات، يغير الشرطي اتجاهه فجأة، فيواجه البائع تماماً)*.

الشرطي : أخيراً عثرت عليك.

البائع : أنت أيضاً *(يحاول الهرب)*.

الشرطي : لا تهرب.

البائع : أنا لم أفعل شيئاً.

الشرطي : *(يقهقه)* لم تفعل شيئاً! لم يعد في المدينة باعة متجولون.. ثم.. ثم أنت تبيع بضاعة ممنوعة..

البائع : أنا..

الشرطي : نعم أنت.

البائع : اسمع أيها الشرطي.. أنت إنسان.. انس هذه الـثياب لحظة *(مشيراً إلى ثياب الشرطي)* واعلم أن لدي أطفالاً ينتظرونني.

الشرطي : القانون.. هو القانون.

البائع : الإنسان هو الذي وضع القانون.. لِمَ تجعلونه إلهاً؟.. السادة الذين هم فوق وضعوا القانون بما يخدم مصالحهم.. وهم بعيدون عما يجري هنا.. تحت.

الشرطي : اسمع.. لدي أوامر بمنع الباعة المتجولين من ممارسة تجارتهم.

البائع : ولماذا؟

الشرطي : إنهم خطرون، أثناء تجوالهم يتجمع الناس حولهم، ولا تنس أنهم ثرثارون، يبيعون أشياء ممنوعة.

البائع : هكذا!

الشرطي : أجل.

البائع : ولماذا يقبل الناس على شرائها.

الشرطي : لعلها لذيذة ومفيدة.

البائع : إذن لماذا هي ممنوعة؟ ولماذا لا تبيعونها أنتم؟

الشرطي : اسمع.. لا تجرني إلى المناقشة.. عندما يقال لي افعل ذلك.. أفعل.. لا أسأل ماذا يعني ذلك؟

البائع : أنت إذن مجرد أداة.. إنسان آلي.

الشرطي : تحتقرونني جميعاً.

البائع : لا أحتقرك فحسب.. أنا أكرهك..

الشرطي : حتى رؤسائي لا يعاملونني كإنسان.

البائع : لأنك حذاء يلبسه السادة.

الشرطي : لا أسمح لك بإهانتي.

البائع : أنا لا أهين أحداً.. أنا أقول الحقيقة.. يجب أن تدرك هذا.

الشرطي : بل أدرك ما سأفعله.. سأنتزع عينيك، *(يهجم عليه.. البائع يبتعد)*.

البائع : لــن تمســك بي.. صحيح أني مصاب بداء المفاصـــل إلا أنك أعجز من أن تلحق بي فأنا أتحرك من تلقاء ذاتي.. أما أنت فتتحرك بإرادة الآخرين.. تدافع عما لا تؤمن به.

الشرطي : تكذب.

البائع : ليست لك قضية تحيا من أجلها.

الشرطي : تكذب.. تكذب.

البائع : تأكل.. تشرب.. تضرب.. كما الحيوان تعيش بغرائزك.. لا تفكر.

الشرطي : اصمت.. اصمت وإلا.

البائع : وإلا مــاذا؟ أنـــت لا تتحرك أبعد من الطاقة الصـــغيرة التي شحنت بها، ولا تسير إلا على

الـــدرب الـــذي وضعت فيه.. أنت تنين صغير تعيش مرحلة عماء على سطح ماء آسن.

الشرطي : كلا.. كلا.. أنا أفكر..

البائع : عـــندما تفكـــر ستقلق، وعندما تقلق ستبحث، وعندما تبحث ستجد الحقيقة.. لكنك يا صاحبي لا تفكـــر.. *(يصـــرخ)* أنت ظلمة.. والظلمة لا تفكر.

الشرطي : اخرس.. لا ترفع صوتك أمام هيئة رسمية.

البائع : هكذا إذن.. *(صمت، الشرطي يبحث في العربة)* طـــال الســكوت.. إلى متى نصمت؟ ما الذي سيحدث إذا تكلمنا أكثر مما يحدث في الصمت؟ الخوف يلجمنا.. والخوف وهم.. وهم أكثر منه حقيقـــة.. المشـــكلة أن خوفنا أكبر من قلقهم، وعندما يصبح قلقهم أكبر من خوفنا سينفجر كل شيء.. كل شيء. *(صمت)*

الشرطي : أين أخفيته؟

البائع : عم تبحث.

الشرطي : آه.. لقــد وجدتـــه *(ينتزع الميزان من العربة، كفـــتاه جمجمـــتان، يطلق ضحكة وحشية)* الميزان مصادر.

البائع : لا.. لا تفعل.. أريد أن أبيع بضاعتي.

الشرطي : لن تبيع شيئاً.. بعد قليل تأتيك سيارة الجمارك فتصادر العربة كلها، ثم ترميك للكلاب تنهش لحمك، سننظف هذه الساحة تماماً وندعو السياح ليروا كم هي نظيفة مدينتنا.. خذ.. *(يدفع العربة باتجاهه في قوة ويخرج، صمت، البائع يدور بالعربة، تدق الساعة دقات قوية، يسبق الصوت في كل مرة التماع ضوئي في ميناء الساعة، يصاب البائع بحالة رعب، يدفع عربته دائراً حول الساعة ملتجئاً إلى أركانها، الصوت يهدأ، صمت مشوب بالحذر والتوجس يتقدم البائع بعربته إلى الأمام).*

البائع : *(في خوف)* سيعودون.. أسمع وقع خطواتهم، لن أستطيع العودة إلى داري هذه الليلة، ينام طفلي على الرصيف، ويتحول الانتظار في عيني طفلتي شوكاً، آه يا حبيبتي.. يا زوجتي.. يا أمي.. ماذا أستطيع أن أقدم لك وأنت على فراش المرض.. ماذا أستطيع.. إنهم قادمون.. وجراح الليلة الفائتة في ظهري توقظها خطوات الجراح القادمة.

سيجلدونني هذه الليلة أيضاً، لكنني لن أصرخ.. أدمنت الألم يا حبيبتي.. أستطيع أن أتحمل

مطـــراً من السياط والنار ولكني لا أستطيع أن أتحمل نظرة حزينة تسيل من عيني طفل ينتظر والده على الرصيف وهو يرتجف من البرد في الليل الموحش المظلم..

أواه يا حبيبتي..

عـــندما يطـــلع الصباح الجديد، وينعقد السوق، ســـأبيع بضـــاعتي وآتيك بالرغيف والدواء.. وبالحيـــاة.. ســـأحمل إلى الأطفال شمساً جديدة دافئة.

حبيبـــتي.. انتظري.. لا تذعني للموت، قاومي ليلة أخرى.. أنا قادم مع الصباح.. مع الصباح يعـــود الغـــرباء.. *(ضمت، يدور حول الساعة، يدخـــل الأزواج الثلاثة والزوجة من جميع جهات المسرح في حركة تشبه الحصار).*

الزوجة : هـــذا هـــو.. لقد وجدته.. تعالوا يا أزواجي الأعزاء.

زوج 1 : هل تبيع برتقالاً وليموناً؟

البائع : *(متراجعاً في رعب)* نعم.. نعم.. أنتم تعرفون ذلك.. كلهم يعرفون ذلك.

زوج 2 : منذ متى وأنت تبيع البرتقال؟

البائع : منذ أن كنت صغيراً.. هذه مهنة ورثتها عن

جدي.. كنت أزرعه من قبل.

زوج 1 : لم أنت خائف؟ نحن أصدقاء.

البائع : كلا.. كلا.

زوج 2 : هل ترفض صداقتنا؟

البائع : دعوني وحدي.

زوج 1 : هل تنتظر أحداً؟

البائع : كلا.. ولكن ثمة من ينتظرني هناك.

زوج 2 : ومن هذا الذي ينتظرك هناك.

البائع : أسرتي..

زوج2 : آ.. ظننت...

زوج1 : أنت تبدو مضطرباً.. هل أنت خائف أم حزين؟

البائع : لقد خفت بما فيه الكفاية.. أنا حزين.. حزين فعلاً.

زوج1 : *(للثاني)* تعال نخفف عنه الحزن.

زوج2 : هل نرقص له؟

زوج1 : كلا.

زوج2 : نغني.

زوج1 : كلا.

زوج2 : نلقي عليه خطبة.

زوج1 : كلا.. كلا..الخطب والبيانات ما عادت تفرح أحداً.

زوج2 : هل نعوي؟

زوج1 : لن يشفيه العواء.. ألا تراه.. إنه حزين جداً.

زوج2 : ماذا نفعل إذن؟

زوج1 : فكر معي.. لابد أن ننقذه من آلامه.

زوج2 : ما رأيك.. نصنع له أرجوحة؟

زوج1 : آه، قلتها والله.

(يختطفان الحبل المعلق على الساعة، والمجهز بعقدة الشنق في وسطه، يشدانه من طرفيه، يقربانه من وجهه.. البائع يتراجع خائفاً).

زوج2 : هيا.. ألا تريد أن تلهو قليلاً؟

زوج1 : نريد أن نسري عنك يا رجل.

زوج2 : ضع رقبتك في العقدة. وتأرجح.. ستشعر بالمتعة.

(يتراجع البائع إلى الوراء فيصطدم بالزوج الثالث الذي دخل حديثاً يلتفت فيفاجأ به..)

زوج3 : هل أنت خائف؟

البائع : خائف.. آه.. ربما.. قليلاً.

زوج3 : ماذا تفعلان؟

زوج1 : صنعنا له أرجوحة. وهو يرفض امتطاءها.

زوج3 : الحبل متين.. إنه من مخزني.. لا تخش شيئاً، إنه لن ينقطع.

زوج2 : لن يستغرق الأمر أكثر من دقائق وتنتهي أحزانك.

البائع : لا.. لا أريد.. ابتعدوا عني.. أكاد أختنق.

الزوجة : *(تدخل)* ابتعدوا عنه.. أليس في قلبكم رحمة؟ *(يبتعدون، تقترب منه)* هل تتزوجني؟.. هيه.. أبعد الحبل عنه.. ستكون أجمل أزواجي.

البائع : ولكني متزوج وعندي أولاد.

الزوجة : لا يهم.. إذا تزوجتني فلست بحاجة إلى اعتلاء هذه الأرجوحة.. فكر بالأمر.

البائع : ابتعدي عني.. أنت امرأة شريرة، لا تلدين غير المشوهين.. أنا لا أتزوج ثعلبة.

الزوجة : كيف تجرؤ.. أبنائي يتكلمون في المهد كما المسيح.

البائع : أبناؤك كلهم لصوص ومجرمون وعهرة.. أبناؤك جلادون دجالون مستغلون.. أبناء زنا.. لقد ذقت منهم ما يجعلني أعرفهم جيداً.

الزوجة : أيرضـيكم هـذا.. أيرضـيكم أن أُهان أمام أعينكم يا أزواجي.. أليس فيكم صاحب نخوة؟

(يقـتربون مـنه في حركة دائرية، يضعون الحبل حول رقبته)

زوج1 : هيا تأرجح.. لماذا لا تتأرجح؟

زوج3 : أنظروا كم هو جميل.

زوج2 : هيا اعترف.. إذا لم تعترف ستطير أظفارك.

البائع : أرثـي لكـم.. أنتم تقتلون أنفسكم بقتلي ولا تدرون.. يا لكم من حمقى، عندما أجلد تجلدون جميعـاً.. ألا تذكـرون..؟ في ساحة الحيّ كنا نجتمع حول النار المشتعلة التي لم تكن تنطفئ أبـداً.. وكنا نقضم أرغفة سوداء ونحلم بدمى وشواء.. آه.. لكنكم لا تذكرون ولا تفهمون.

(يُطرق الأزواج رؤوسهم في خجل)

زوج1 : نحن حزينون جداً وآسفون.. سأسجل ذلك في إضبارة الدعوى حالما أجد مفتاح المحفظة.

زوج3 : أما أنا فسأبرق إلى كافة عملائي كي يأخذوا عـبارات مـن كلمـتك الرائعة ويضعوها في إعلانات الدعاية لبضائعي.

زوج2 : *(يـلف الحبل بسرعة حول الساعة بحيث يصبح*

البائع مقيداً به إلى الساعة) نحن مضطرون لأن نفعل ذلك.

زوج1 : أجل نحن حزينون من أجلك.

زوج3 : حزينون جداً لكننا مضطرون.

زوج2 : في الحقيقة، حان وقت تقديم الضحية.

زوج1 : أنت تعلم أنه لا يرحم.

زوج3 : أجل لا يرحم.. خاصة عندما يكون جائعاً.

زوج1 : وهو دائماً جائع.

زوج2 : إذا لم نقدم له ضحية كل مساء فإنه يفترسنا، ويفترس سكان المدينة جميعاً.

زوج3 : يجب أن تفخر بأننا اخترنا قرباناً مقدساً.

زوج1 : من جهتي سأرثيك بقصيدة عصماء أضمها إلى ديواني الذي أحفظه هنا *(مشيراً إلى المحفظة)*.. وسأسجل اسمك في سجل التاريخ.. فأنا أعيد كتابة التاريخ من جديد.. ومن خلال منظور أيديولوجي متطور جداً.

زوج2 : للأسباب السابقة.. وحفاظاً على الجنس البشري من الانقراض، قررنا أن تكون القربان هذا ضروري من أجل السلام.

زوج1 : وقوانين المدينة تفرض تقديم الأضحية في

موعدهـــا.. هـــذا مكـــتوب في مجلة القانون، والمجـــلة هنا في المحفظة.. إذا كنت لا تصدق فإنني مستعد أن أطلعك على ذلك.. فقط لو أجد المفتاح.

زوج3 : أعـــتقد أننا وفقنا في إقناعك.. البطولة شيء عظيـــم.. يجب أن تشكرنا لأننا سمحنا لك بهذه التضحية العظيمة.

الأزواج : هيه.. ماذا قلت..؟

البائع : تفوه.. يا لكم من سفلة.

زوج2 : حيوان.

زوج1 : ناكر للجميل.

زوج3 : أحمق، ستضيع صفقة رابحة.

الزوجة : *(تقـــترب مـــنه)* ابتعدوا عنه.. يا لكم من قساة *(تخاطـــبه)* قل لي ماذا تريد قبل أن تذهب إلى الموت بسلام.

البائع : لا شيء.. اغربي عني أيتها المرأة.

الزوجة : *(تقترب منه)* ألا تريد أن تمارس الحبّ.

البائع : قلت لك: اغربي.

الزوجة : مازلت أستطيع أن أنقذك.

البائع : لا أريد.. لا أريد.

الزوجة : تــرفض عرضـــاً كهذا.. لابد أنك قديس أو مجنون.

(يجــتمع الثلاثة حول العربة، يتناولون منها أكياساً من الورق ويملؤونها من محتويات العربة).

البائع : ماذا تفعلون؟

زوج2 : البضاعة مصادرة.

البائع : ليــس معكــم أمر بالمصادرة.. أنتم تسرقون بضاعتي.

زوج2 : ما انتفاع ميت ببضاعة ممنوعة.

البائع : هذه ليست بضاعة ممنوعة، .. هذه..

زوج1 : بــرتقال.. وليمون.. نعرف ذلك.. أيها السيد نحــن لا نســرق بضاعتك.. أنا رجل قانون، والســرقة جريمة يعاقب عليها القانون.. نحن نشتري بالدين، وسندفع لك الثمن فيما بعد.

البائع : لصوص.. لصوص.. ابتعدوا عن العربة.

الزوجة : إذا كــنت تريد أن تنقذ عربتك قبلني أمامهم، سيتركون العربة وينصرفون.

البائع : لـــي زوجة أحبها وأولاد أنتظر لقاءهم.. هل تفهمين؟

الزوجة : حسن أنت تجني على نفسك.. هيا يا أزواجي الأحباء.. لا تتركوا شيئاً في العربة

(تبتعد عنه، تقف أمام العربة، تشترك في نهب البضاعة)

زوج3 : *(يطلق صرخة)* انظروا.

زوج1 : ما هذا؟

زوج3 : رأس طفل *(يضعه في الكيس).*

زوج2 : آه.. أصبحت اللعبة مسلية.. كنت أعلم أنه يخفي في العربة شيئاً.

البائع : دعوا طفلي أيها القتلة.

الزوجة : ابحثوا عن الأطراف.

زوج1 : هذه يد *(يضعها في الكيس).*

زوج2 : وهذه يد أخرى.. انظر كم هي صغيرة، بيضاء، ناعمة. *(يضعها في الكيس).*

البائع : *(يحاول أن يخلص نفسه من الوثاق)* مجرمون.. مجرمون.. لماذا تمزقون طفلي الصغير؟

زوج3 : هـا.. لقد عثرت على قدم.. هذه قدم يمنى.. أية قدم رائعة هذه.

زوج1 : أمس شربنا الشمبانيا بكؤوس مصنوعة على شكل أقدام صغيرة.

زوج2 : الظهــور تذكرني بالسياط.. والأقدام تذكرني بالعصا.

زوج1 : هذه هي القدم الأخرى.. يا لها من قدم رائعة فعلاً.

البائع : أيها القتلة.. أعيدوا الطفل.. أعيدوه إلى صدر أمه.

الزوجة : دعونـــا ننصــــرف قـــبل أن يأتي ذو العين الوحيدة.

زوج2 : لا تنسوا الرأس.. سنشرب به الليلة خمراً.

(يبتعدون عن العربة ويخرجون)

البائع : طفلي.. طفلي.. أعيدوا طفلي أيها اللصوص *(يجـــاهد في تخليص نفسه)* سرقتم ولدي، مزقتم جسده، ماذا أقول لزوجتي عندما أعود وتسألني عن طفلها هل أقول لها أعمامه يأكلون لحمه؟

يجـــب أن تخجـــلوا مما تفعلون.. أعيدوا إليّ ولدي، أعيدوا إلي ولدي *(صمت)* لا فائدة، بيني وبيـــنكم بيـــادر ليل، ترمدت المشاعر وتحطب الـــدم، فمـــتى يورق في أعماقكم القهر؟ كيف تســـتطيع معدتكم أن تهضم لحم الأطفال، كيف تســـتطيعون أن تناموا وعلى شفاهكم دبق من دمهم المقدس.

(صـــمت) لا فـــائدة.. سيأتي بعد قليل لم يخلف موعده فقط، سأقاوم ليلة أخرى، ليلة أخرى من العـــذاب.. وفـــي كل ليلة أفقد طفلاً. لكن لن ينتهي كل شيء.. مازلت أعيش.. ولن أستسلم. هيـــه.. اسمعوا، أحذركم.. أنتم تحملون ناراً.. هذا الذي سرقتموه سينفجر وتتحولون إلى كومة من اللحم والدم *(صمت، ينتحب)* أنتم لا تفهمون *(صمت تام، وقع خطوات)* أسمع وقع خطواته.. أقدامـــه تـــدق الأرض.. ذو العيـــن الواحـــدة يقترب.. لقد عاد من جديد.. لا.. لست خائفاً.. لكن.. أما لهذا العذاب من نهاية؟

(يدخـــل الجـــلاد وتابعه بلباس السيكلوب، يشرعان بجـــلد الـــبائع، يدخل الأزواج والمرأة ويقفون في الـــركن القصـــي من المكان، تتجمد حركتهم على وضـــعيات تعـــبيرية مختلفة، مع الجلد والعد تتالى الانفجارات من داخل العربة، البائع يتلقى الضرب في صمت تام، ومن غير ألم).

الجلاد : مئة وخمسون.

التابع : مئة واحدى وخمسون.

الجلاد : مئة واثنتان وخمسون.

التابع : مئة وثلاث وخمسون.

الجلاد : مئة وأربع وخمسون.

(الانفجارات تشتد في العربة)

التابع : مئة وخمس وخمسون

الجلاد : مئة وست وخمسون

(مع تتالي العد والجلد تخفت أنوار المسرح، وتسمع دقات مبهمة مضطربة متباعدة لساعة كبيرة مختلطة بوقع السياط. تبدأ الستارة بالهبوط في بطء ثم تتوقف عندما تندفع الأخت داخلة، شعثاء الشعر، ممزقة الثياب، حافية، على قدميها وكفيها وجسمها طين الأرض).

الأخت : لا.. لا يمكن أن أعيش معه.. لقد هربت.. قفزت من فوق الأسوار.. أنا لا أباع، لا أباع.. هل فهمتم. لا شيء يمنع عني حريتي.. لا شيء.

استيقظوا أيها الناس، استيقظوا.. ألا تسمعون وقع السياط.. ألا تحسون الدم يتفجر من ظهوركم.. ألا تشعرون بالألم؟

(تهزهم بقوة) يا جذوعاً من حطب تحركوا..

يا أهل الكهف، يامن تعيشون في الرطوبة والظلمة، أزيحوا صخرة الزمن عن مدخل الكهف ولتدخل الشمس.. فلتدخل الشمس التي

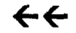
تغمر الكائنات إلى كهفكم..

(تهزهم بقوة.. تقترب من البائع وتلامس ظهره في حنو) إلى متى تستمر هذه المأساة؟

(تواجـــه الجمهـــور) أنـــتم أيهـــا المعذبـــون.. اســـتيقظوا.. واحمـــلوا آلامكـــم ناراً *(تصرخ)* استيقظوا.. *(يتحول صراخها مع خبوّ الأنوار إلى نداء عميق مؤثر* استيقظوا.. قبل أن تغرب عن أرواحكم الشمس.

(تـــتهالك على الأرض وتتكوم على نفسها.. يسقط ضوء خفيف عليها فتبدو كصخرة من بازلت).

– ستارة شفافة تهبط في بطء–



الحسّاد

مسرحية شعرية

الشخصيات

اللحّاد

الرسّام

تماثيل من شمع –مانيكان

بفعـــل عوامــل مجهولة غاصت المدينة شيئاً فشيئاً تحت الأرض، بسكانها وبيوتها وشوارعها، جتى اضطر الناس إلى حفــر الأنفاق للخروج منها والدخول إليها. المقبرة القديمة هي الجــزء الوحيد من المدينة، الذي لم يغص في باطن الأرض، ومع الزمن صارت المقبرة فوق المدينة.

الحــدث يجــري فـــي المقــبرة حيــث يغمرها السكون والوحشـــة، عــلى الشــاهدات الحجريات لوحات لرسام يقيم معرضاً في هذا المكان الموحش، الرسوم هي مزيج من الخط والرسم.. غامضة، قاتمة الألوان، ضبابية.

الزمن تحدده الشمس الغاربة خلف المقبرة الممتدة إلى ما لا نهاية.

يبرز من وراء أحد القبور الرسام بقامته ولحيته الصغيرة وغــليونه الأنيــق يقترب من الجمهور، يوحي بأنه سيتكلم ثم يغيــر رأيه فيولي سائراً خطوات إلى عمق المسرح، يتوقف، يلتفت فجأة.

الرسام : مـا عـادت تجدي الكلمات *(يدور دورة كاملة حـول قـبر كـبير، يـتوقف)* هذا زمن الصمت الأسود. في صخب الكلمات المشلولة.

الكلمات تغوص.. الإنسان يغوص.. المولودات الناقصة الشوهاء تغوص.

ومدينتنا.. بأظافرنا المثلومة تحفر في الأرض طـريقاً للشـمس *(ينتقل إلى قبر مفتوح)* في كل صـباح.. قبر مفتوح آخر.. يستقبل ميتاً *(يهيل بعـض التراب في القبر)* والناس يدسّون الجسد الـبارد في الأرض.. ويمضون.. لا يبكون.. ولا يـأتون.. لزيارة موتاهم. هذا زمن الحزن الأسود.

(يسـمع صـوت خطوات قادمة، اللحاد يبرز من وراء القبور حاملاً رفشاً)

اللحاد : من يتحدث في الأحزان؟

الرسام : *(محدثـاً نفسـه)* جـاء الزوار.. جمهوري يا سـادة.. كالـبحر عـريض، فأنا اسم معروف مشهور.

(يخـاطب اللحاد) أهلاً أهلاً.. يسعدني أنك جئت تـزور المعرض.. وأنا لا أبخل بالشرح على معجب.. *(اللحاد ينقل النظر بين الفنان والقبر الذي*

علقت على شاهدته إحدى اللوحات) هذي اللوحة من مرحلتي السوريالية.. فيها مزج بين الوعي واللاوعي.. بين الواقع والصوفية.. انظر.. تتدرج فيها الألوان.

اللحاد : عفواً.. فأنا اللحاد.. حارس هذه المقبرة المنسية.

ما جئت أزور المعرض.. أو أنظر في لوحتك السوريالية..

جئت أرى القبر المطلي اليوم.. ولقد أفسدت بلوحتك الشعر المكتوب على القبر.

الرسام : *(مشيراً إلى القبر)* هل مات حديثاً؟

اللحاد : أمس توفي.. أطلق بضع رصاصات في فمه.

الرسام : هل يجرؤ إنسان أن ينهي بالنار حياته؟

اللحاد : أبسط مما تتصور.. فالميت لا ينتحر.. لا يخسر شيئاً، لا يتألم.. إن أطلق ميت لم يدفن بضع رصاصات في فمه. *(يسمع صوت حركة)*

الرسام : صه.. اسمع صوتاً.. أقدام الزوار. *(يخرج كلب من قبر ويمضي)*

اللحاد : لا شيء سوى كلب.

الرسام : هذا الكلب.. أوفى منا.

الشـــوق إلى سيده يدفعه.. جاء يزور الإنسان وفاء بعد الموت.

اللحاد : بـــل جـــاء ليأخذ قطعة عظم خبأها في تربة سيده.

الرسام : حـــتى الكـــلب! *(صـــمت)* قل لي يا لحاد: ما الموت؟

لاشـــك بأنك تعرفه أكثر مني.. تلمسه بيديك.. تتذوقه.

اللحاد : ما ألمسه الأموات.. أنا لا أعرف ما الموت.. لا أبحث عنه.

أنـــا أغمـــس كفيَّ به لأعيش وأكسب في اليوم رغيفاً أسمر.. لا أهتم بهذا الموت.

الرسام : أو ما تغسل بعد الدفن يديك؟

اللحاد : كلا.

الرسام : هل تشعر بالذنب أو الخوف؟

اللحاد : أشعر بعد الدفن بأني أكثر طهراً.

أشعر أن العالم من ظلمته يتخفف، يصبح أكثر إشراقاً *(صمت)*

لاشيء يطهّر كالموت.

الرسام : لـــن أستغرب ذلك.. ما دمت تعيش هنا.. لا

تعرف غير الموت.

اللحاد : من منظار الموت أكشف هذا العالم.. الغارق في العتمة.

الرسام : العتمة تشتد.. تمطر مجهولاً رطباً يسكن في الأعصاب.. أشعر بالوحشة، بالقلق.

اللحاد : أتخاف الظلمة..؟

من درب القهر، الظلمة، والموت.

من درب المرض، الفقر، القتل، السكر.. وجنون العقل.. تمرد كل الإحساسات نطرق أبواب المعرفة الكبرى *(صمت)*

الرسام : هبط الليل.. الوحشة تقلقني.. هل نذهب للبلدة؟

اللحاد : لا أترك مقبرتي أبداً.. في رحم القبر تكونت.. من القبر ولدت.. إلى القبر أعود.. وأعيش هنا.. لا أعرف بلدتكم.. تلك المدفونة تحت الأموات.

الرسام : أين تنام؟

اللحاد : في قبر مفتوح يسكنه التاريخ هناك.

الرسام : الليل هنا موحش.. والصمت يدق الأعصاب.. أفلا تشعر بالخوف؟

اللحاد : أبداً.. فأنا أحترف الموت.. أترنم بالصمت.. أتدفأ بالوحدة.. أستأنس بالوحشة.

الرسام : قدمني لضيوفك في هذا الحقل الثلجي.

اللحاد : هـم أكثر دفئاً منك *(يسير به، يتوقف أمام قبر يجلس عليه تمثال سمين من شمع -مانيكان)*

اللحاد : هذا صرعته التخمة في ليلة عيد الأضحى.

قبر يتجشأ منفوخ البطن *(يقفان أمام قبر ثانٍ عليه تمـثال شـمعي -مانيكان غائص قسمه السفلي في التربة)* هذا صاحبه مات على حلم من قمح.

كان يمنيّ النفس بأرغفة كالنار.

مات من الجوع على شاطئ عهر الإنسانية.

الرسام : لـو كان انتزع اللقمة من ذاك المتخم.. حبل بسـيف عـلي.. أو نظر بعين أبي ذر ما مات الاثنان.

اللحاد : لو.. يا هذا تفتح عمل الشيطان.

(يقفـان أمام قبر ثالث، اللحاد يجرف تراباً ويهيله عـلى القبر، وهناك تمثال من شمع -مانيكان يسند ظهره إلى الشاهدة ويقرأ في كتاب)

اللحاد : صـاحب هـذا القبر.. أعرفه كالليل.. حمل الموت بأعماقه. إن كنت سمعت بأن الفكرة إن

دخلت في أنسجة الإنسان ستقتله.. ها.. هو ذا.

الرسام : أشعر بالغثيان.. دعني أذهب.

(تتـــبدل الأنـــوار وتميل إلى الشحوب، تبدو وكأنها منبثقة من القبور. يقفان أمام قبر آخر)

اللحاد : سأعرفك بصاحب هذا القبر.

عـــاش فراغ العالم.. سيطر إحساس باللاشيء عـــليه.. فتطوع في الحرب.. يبحث عن سبب للموت.. أو سبب يحيا من أجله.

(يرفع بعض الأغصان من فوق شاهدة القبر فيبرز رأس محارب من شمع -مانيكان)

وانتهت الحرب ولم يعرف هل ربح الحرب أم الأعداء انتصروا.

واجتاحته الديدان الصفر.. وعاش القلق الأبدي.

من شوه في الإنسان الحلم الإنساني..؟

يسأل نفسه.. يسأل.. يسأل.. حتى أعياه التفكير

ثـــم أتى لـــلمدفن.. يلتمس جواباً في العزلة.. فـــرأى البـــلدة غائصة في الوحل.. في أعماق التربة تحت الأموات

فصاح.. القهر.. القهر.. القهر.

ونـــادى: الحـــرية والطوفان..يا غضب النهر

تفجر.. يا غضب النهر تفجر.

(اللحاد يغذو صراخه متوحشاً، يرفع الرفش فوق رأس الرسام الذي يتراجع مذعوراً)

الرسام : دعني.. أبعد عني.

اللحاد : *(يتكئ على الرفش)* لا تخف.. هذه قصة صاحب هذا القبر..

ظل ينادي وينادي حتى مات.

(يقفان أمام قبر آخر يقف وراء شاهدته تمثال عار من الشمع برأس وطواط وهو يحتضن الشاهدة)

اللحاد : *(يقف أمام قبر آخر)* هذا مهووس جنسي.. يغتصب الفتيات.. في عرض الشارع، في ضوء الشمس.. والناس حجارة.

فإذا ما أفرغ لذته.. نهض.. تقيأ.. ومضى.. ومضى الناس وراءه.

اللحاد : *(ينتقل إلى قبر آخر)* هذا صوفي.. سلك طريق العشق.. ولم يوصله الدرب إلى المعشوق.

اللحاد : *(يقف أمام قبر دارس)* في هذا القبر اثنان.. الأول جلاد.. والثاني مجلود.

اللحاد :. *(يقف أمام قبر آخر)* في هذا الـ...

الرسام : اسكت.. اسكت.. أشعر أني أتقيأ دعني

أذهـــب.. إنـــي أختـــنق.. الهواء يقل.. دعني أذهب.

اللحاد : أين ستذهب *(يدفـــع بالرفش أمام وجه الرسام ثم يثبته على الأرض فيتكئ عليه ويخطو نحوه)* هبط الليل.. ولقد أغلق حراس المعبر أبواب البلدة.

الرسام : لكن.. لم يزل المدفن يسبح في النور.

اللحاد : هذا النور الأصفر ليس بضوء الشمس.. هي أنوار التربة.. تتولد عند تحلّل أجساد الموتى.

الرسام : أيشع الإنسان؟

اللحاد : قـــدس الأقداس الإنسان.. أنا أعرف بالإنسان مـــن الفـــنان ومن كتب القانون، أنتم في البلدة تضـــطهدون الإنســـان.. فيفقـــد كل عناصره الإشـــعاعية.. تغـــتالونه وأنا اللحاد. أرفع عنه غطـــاء الصـــندوق الخشـــبي.. أمنحه الراحة والصـــمت.. وعوالم لا جغرافية.. لا زمنية.. ويعيـــش معـــاني الحـــرية.. فيشع الجوهر في الإنسان *(صمت)*

الرسام : يقتلني البرد هنا.. والريح.

اللحاد : الجو هنا أكثر إنعاشاً من جو البلدة.. بعد قليل تشعر بالراحة والمتعة.. وتنام كطفل في القبر.

الرسام : ماذا.. القبر؟

أكـــره رائحـــة المـــوت.... أكـــره هذا الجو المأساوي.

اللحاد : *(يدور حول الرسام)* بل تكره أن تعرف نفسك. وتراها عارية في المرآة.

الأرماس مرايا.

(ينتقل بين القبور بسرعة) هذا مرآة.. هذا مرآة.. هذا مرآة.

حقل مرايا يعكس في الإنسان.. مختلف جوانبه الإنسانية.. يوقظ فيه المسؤولية.

الرسام : أكره أن أرقد بين الأموات.

اللحاد : تكـــره أن تفعل ذلك ثم تقيم المعرض في دار المـــوت.. ولا تكره أن تحيا بينهم!؟ في بلدتهم تـــأكل خـــبز المـــوت.. تتـــنفس رائحة الزمن المحروق.

الرسام : لا أجرؤ أن أفعل ذلك.

اللحاد : *(يقفـــز فوق أحد القبور)* ليس بفعل.. لن تفعل شيئاً يا هذا.

ليس الموت بفعل

هو إحساس بالراحة.. بالسفر اللا محدود

ستری الموت لذيذاً *(يقفز)* نوعاً من فعل الجنس عند الموت تتملكك الرعشات الجنسية.

(يحصره في زاوية القبر) وتعيش وصالاً منشوداً عـبر المطـلق.. تتـنفس أنسـام الحرية بعد حصـارات السجن *(يحصره اللحاد فيضطره إلى اعتلاء القبر)* لا... لا تخش الموت *(يحس الرسام بحركة فيقفز مبتعداً ويختبئ خلف القبر).. (صمت)*

اللحاد : من هناك؟ *(يلمح شبحاً راقداً في أحد القبور يعلو بصدره ويهبط)*

اللحاد : *(للرسام)* اخرج يا رجل.

الرسام : *(يمـد رأسـه مـن خلف الشاهدة)* ثمة شخص يتحرك في القبر.. لص مقابر.. أو سفاح.

اللحاد : أسفي.. لو كانت لك جرأة ألوانك والريشة. تـتحدث عن لون الدم في لوحاتك ثم تنط كفأر مذعور.. تحمل جبنك خلف جدار الموتى *(يمد رفشـه مـن فوق القبر محاولاً أن يجرف الرسام كحفـنة تراب)* انهض. لا تحتاج البلدة للنار أو الجنة.. تحتاج إلى فعل.

الرسام : مازال هناك.. انظر، لا أرغب أن أقتل.

اللحاد : *(يقبض عليه من معطفه ويضطره إلى النهوض)*

اخـــرج.. هـــذا رجل دفنت زوجته اليوم فجاء يضاجعها بعد الموت.

الرسام : أيضاجعها بين الموتى..جثة؟

اللحاد : قـــبلاً كـــانت جـــثة.. تتنفس في البرد وكان يضـــاجعها.. إن شـــئت الحق فليست زوجته.. يـــزني بالمرأة قبل الموت وبعد الموت.. يزني بالميت والقبر.

الرسام : أين المرأة.. عفواً أين الجثة.. لا أبصرها.

اللحاد : أوه.. صـــارت أعظمها في الأرض مكاحل صارت تربة.

الرسام : هل يزني بالوهم؟

اللحاد : بل يزني بالذرات.

الرسام : ولماذا يفعل ذلك؟

اللحاد : يعشق زوجه.

الرسام : العشق بأن تزني بالمحبوب؟

اللحاد : أفلا تزني في لوحاتك؟

الرسام : اخرس.

اللحاد : وتمارس في خلط الألوان الجنس؟

الرسام : تكذب.. تكذب

اللحاد : والأحمر عندك لون الشبق الدموي؟

الرسام : لولا هذا الرفش قتلتك؟

اللحاد : ها أنت تعود إلى روح الغابة.

الرسام : كلا.. أنا إنسان، فنان، متحضر.

ليست صنعتي الموت.. ولست بلحاد.

اللحاد : أنا لحاد.. لا أخجل من عملي أنا إنسان واحد.

أما أنت.. فنان في داخله لحاد

أو ما كنت تمارس فعل القتل.. تحمل بوقاً لا تملكه

تصرخ في أسواق البلدة: زوروا معرضي القومي

أو لم تسرق قمصان الفقراء.. كي تصنع للطوطم رسماً

ترسم وجه الطوطم عشرين بعشرة أمتار

وتلونه بدماء الشهداء

تنصبه في الساحة فوق مشانق منها تتأرجح أطفال يبس الحب بأعينهم جوعاً للغد، تقتل روح الإنسان؟

الرسام : اسكت.. اسكت.. بالله عليك.

اللحاد : لن أسكت.. من حقي أن أتكلم.. لا.. لا تملك أن تمنعـني.. فهـنا مقـبرة البلدة لا البلدة.. يتساوى الكل هنا.. وهنا لن يحصي أحد أنفاسك أو كلماتك. أمر محزن.. أن لا نحيا الحرية إلا في هذا القفر الموحش بين الأموات.

الرسام : انظر.. يا للهول.

اللحاد : ماذا؟

الرسام : لوحـاتي تهـرب مـنها الألـوان.. تغيـب الأشكال.. انظر.

(يمعـنان الـنظر في اللوحات التي تمّحي ألوانها، صوت الريح يشتد)

يا للمقبرة الملعونة.

اللحاد : اسمع صوت الريح.

بعـد قـليل تنسكب الأمطار.. تهب عواصف مجنونة

تحمل من قلب الصحراء رمالاً.. طير أبابيل

تحمل في المنقار جماراً

لوحاتك لن تصمد للأنواء

لعوامل تعرية تلعب فيها.

الرسام : ماذا أفعل؟

اللحاد : بعد قليلٍ تفقد كل رسومك.. تصبح ذكرى فنان. *(تشتد الريح)*

الرسام : الريح تصم الآذان

اللحاد : ها أنت تعبت ويغلبك النوم.

بعد قليل تتهاوى نحو الأرض.. وتهوي لوحاتك ميتة الألوان.

الرسام : ماذا أفعل.. ماذا أفعل؟

اللحاد : والبرد كذئب يفترسك.

الرسام : يقتلني البرد هنا *(يدور بين القبور باحثاً عن مكان يلتجئ إليه)*

اللحاد : عمّ تلوب؟

الرسام : أبحث عن بيت لا تسكنه الريح.

بيتٍ دافئ.

معتكفٍ يسكن فيه الله، العالم، والإنسان.. فأنا.. يقتلني البرد هنا.

اللحاد : أواه تأخرت.

لا يوجد في حقل الموت سوى الأرماس.. عد يا رجل.

الرسام : سألوب على حظي

(يتعثر بأحد القبور فيسقط، يرتفع من القبر ركام

مــن الجــرائد، يبرز من تحتها رأس رجل يلبس قناعاً، يجلس ينظر حواليه ثم يغطس ثانية في القبر تحت ركام الصحف. يرفع الرسام رأسه من وراء القبر في ذهول، يقترب منه اللحاد)

الرسام : *(في صوت عميق حزين)* أبحث عن بيت.. لا يسحقني فيه السقف، الحزن الأسود يقتلني.

تحزنني ألوان تركض من لوحاتي.. تتلاشى في الليل

بعــد قليل. لن يبقى من لوحاتي غير إطارات كشوارع لا يعبرها الناس..

ويهاجمني العدم الأصفر.. وتجرجرني الريح.. تحملق فيّ عيون الموتى..

ويجردني البرد على سكين الليل..

لا شيء أنا.. لا شيء أنا

اللحاد : تــبحث عن رحم دافئ.. تسكن فيه.. فتُخلَق خلقاً آخر.. اتبعني

(يضــع الــلحاد رفشــه على كتفه، يمضي يتبعه الرسام، يدور به متعرجاً بين القبور)

اللحاد : *(يــتوقف)* لاشك بأنك تشعر بالتعب.. تشتاق إلى الــراحة.. تخــلع من قدميك حذاء الأيام.. تتخفف من معطفك الشتوي.. ها.. اتبعني.

(يستأنفان السير ثم يتوقفان)

اللحاد : تشعر بالخوف من المجهول.

تلغي ماضيك لأنك تشعر بالعجز تجاهه

وتقنن ذلك بالكلمات اللماعة

تبحث عن درب خلاص.. اتبعني *(يستأنفان السير ثم يتوقفان)*

اللحاد : وأضعت هناك أعز الأشياء إليك

ضيَّعت الإنسان

ضيعت الذات القدسية

تبحث عن معنى الحق.. عن الكلمة... وبقايا حرية

تبحث عن دار أمانات تلقى فيها ما ضيعت .

.. هـا.. اتبعني *(يستأنفان السير، الرسام مجهد، يترنح، يغالب النوم، يتوقفان أمام قبر مفتوح، الريح تصفر)*

اللحاد : تَعِبٌ أنت ومجهد.

يغلبك النوم ويقتلك اليأس

بعد قليل لا يبقى في المقبرة سوى الصمت

سأنام.. وتشعر بالوحدة أنت... وستعوي الريح وتهطل في الفجر الأمطار.

وستشعر بالبرد وبالجوع، ويلبسك الخوف
بعــد قليل يحتل المقبرة الموت.. وتبقى وحدك
(الرعب يسيطر على الرسام)
لا.. لا ترعب
هــذا قبر مفتوح هيأه أهلوه ولم يأتوا.. صاحبه مــازال يعاني سكرات الموت. لا أعتقد يموت الليــلة.. هيــا.. نم فيه وأوقظك الفجر.. هيا.. انزل.. لا يوجد أفضل من هذا *(الرسام خائف)*
لا شــيء هــنالك يدعو للخوف.. القبر مريح متسع وعميق دافئ.. وهو مهوّى.. يحميك من الــريح من الأمطار.. انزل.. انزل لابد تنام.. غــداً يوم العطلة.. وسيكتظ المعرض بالزوار، وتشــرح مــا كانت تحمله لوحاتك.. سيقابلك الصــحفيون.. وســيذكر اســمك في نشرات الأخبار.
انــزل.. القــبر كــبير.. هــذا أفضل قبر في المدفن.. انزل..
ســتنام كمــا يغفو الطفل.. وستبعث في الفجر جديداً
(الرياح تشتد فجأة.. يلتمع البرق، الرعد يقصف)
إنها العاصفة

هيا.. لا تتردد

(الـريح تـزأر بشدة، مع لمع البرق نرى الرسام يـنزلق إلى القـبر، وعندما يختفي فيه تماماً يطلق اللحاد ضحكات مجنونة عالية، ويركض بين القبور حاملاً لوحات الفنان ملقياً إياها في القبر فوقه)

اللحاد : هذا عصر لا يحتاج لغير اللحادين.

(يهيل التراب في القبر)

اللحاد : هذا عصر لا يحتاج لغير اللحادين.

(يخف صوت الريح تدريجياً، يسوي القبر برفشه، يضغط تراب القبر بقدميه).

اللحاد : هذا عصر لا يحتاج لغير اللحادين.

(يقترب من الجمهور في خطى بطيئة حاملاً رفشه)

اللحاد : الحق أقول لكم

لست نبياً

لكني لحاد

(يثـبت رفشه على الأرض بجانبه، ممسكاً إياه من حديدتـه بقبضة يده اليمنى، مباعداً إياها إلى أقصى امتدادها، يبدو كمن يمسك علماً في احتفال رسمي، يتسمر متحولاً إلى تمثال...)

(ستارة شفافة تسدل ببطء)



المحتوى

***

كتب مطبوعة للمؤلف

■ في الشعر

-مولد النور "ملحمة حوارية". مطبعة المعري -حلب

-القيامة "ملحمة حوارية". دار النفائس -بيروت.

-مسافر إلى أروى. وزارة الثقافة -دمشق.

- سيدة الحروف، اتحاد الكتاب العرب- دمشق.

■ في المسرح والدراسة المسرحية:

مسرحية اختفاء وسقوط شهريار، اتحاد الكتاب العرب - دمشق.

-مسرحية ثلاث صرخات. مطبعة المعري - حلب.

-مسرحية السيد. مطبعة المعري - حلب.

-مسرحية عرس حلبي وحكايات من سفر برلك. وزارة الثقافة - دمشق

-مسرحية صناعة الأعداد. دار ابن رشد - بيروت.

-مسرحية هبوط تيمور لنك. دار ابن رشد - بيروت.

-مسرح الريادة. دار الأهالي- دمشق (دراسات مسرحية)

-ليال مسرحية (مسرحيتان) اتحاد الكتاب العرب -دمشق.

■ في قصص الأطفال:

-مسلسلة أحاديث وقصص. دار الكتاب -حلب.

-مسلسلة حكايات البراعم. دار الأندلس -بيروت.

-مسلسلة الطفل السعيد دار الأندلس -بيروت.

-مسلسلة أحسن القصص. دار النفائس -بيروت.

في البحث والنقد الأدبي والتراجم:

-العلامة خير الدين الأسدي. الإدارة السياسية للجيش -دمشق.

-الشاعر أمين الجندي. وزارة الثقافة -دمشق.

-حافظ الشيرازي. المركز الثقافي الإيراني -دمشق (مشترك).

-المطهري العبقري الرسالي. المركز الثقافي الإيراني -دمشق (مشترك).

-مدخل إلى علم الجمال الإسلامي. دار قتيبة -دمشق.

-ياقوتة حلب عماد الدين النسيمي. اتحاد الكتاب العرب -دمشق.

في التراث والمعاجم:

-أحياء حلب وأسواقها "تحقيق وتأليف". وزارة الثقافة -دمشق.

-حلب القديمة والحديثة. مؤسسة الرسالة- بيروت.

* * *



رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

نصـــوص من المسرح التجريبي الحديث: طفل زائد عن الحاجة- باب الفرج.../ عبد الفتاح رواس قـــلعه جــي- دمشـــق: اتحاد الكتاب العرب، 2001 - 130 ص ؛ 24سم.

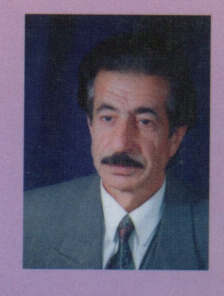
1- 812.008 ق ل ع ن .

2- 812.009561 ق ل ع ن

3- العنوان 4- قلعه جي

ع- 2001/5/.863 مكتبة الأسد

□□



عبد الفتاح رواس قلعه جي

ولد في حلب عام 1938.

يحمل الشهادة الثانوية.

عمل مدرساً وصحفياً في إذاعة حلب، ومعد إذاعي وتلفزيوني.

نشر للمرة الأولى في الصحف والمجلات السورية.

عضو جمعية البحوث والدراسات.

من مؤلفاته

1- مولد النور- شعر- 1971.

2- القيامة- شعر- 1980.

3- مسرحية ثلاثة صرخات- مسرحية- 1976.

4- السيد- مسرحية- 1967.

5- عرس حلبي وحكايات من سفر برلك- مسرحية 1984.

6- صناعة الأعداد- مسرح- 1980.

7- هبوط تيمورلنك- مسرح- 1980.

8- مسرح الريادة- مسرح- 1980.

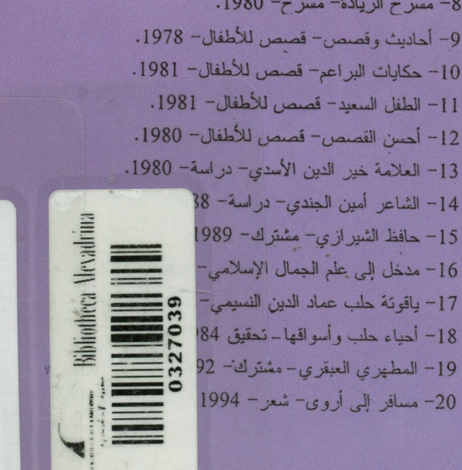
9- أحاديث وقصص- قصص للأطفال- 1978.

10- حكايات البراعم- قصص للأطفال- 1981.

11- الطفل السعيد- قصص للأطفال- 1981.

12- أحسن القصص- قصص للأطفال- 1980.

13- العلامة خير الدين الأسدي- دراسة- 1980.



14- الشاعر أمين الجندي- دراسة- 38

15- حافظ الشيرازي- مشترك- 1989

16- مدخل إلى علم الجمال الإسلامي-

17- ياقوتة حلب عماد الدين النسيمي-

18- أحياء حلب وأسواقها- تحقيق 984

19- المطهري العبقري- مشترك- 92

20- مسافر إلى أروى- شعر- 1994

ثمن النسخة ١٥٠ ل.س في القطر

٢٠٠ ل.س في أقطار الوطن العربي

مطبعة اتحاد الكتاب العرب

دمشق